تفسير القرآن

بين التجميد، والتجديد

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2020/2/815)

المحجوبي، خالد ابراهيم

تفســـير القرآن بين التجميد والتجديد/خالد ابراهيم المحجوبي.- عمان: دار المبادرة للنشر والتوزيع 2020

ر. أ: (2020/2/815)

الواصفات: تفسير القرآن// اصول التفسير// المفسرون//القرآن الكريم/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الأردن - عمان - شارع الجامعة الأردنية
daralmobadarajo@gmail.com
DarAlmobdaraJo
00 962 795 030 790

ISBN: 978 – 9923 – 26 -052- 4

تفسير القرآن

بين التجميد، والتجديد

د. خالد إبراهيم المحجوبي

الطبعة الأولى

2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كتاب أنزل إليك مبارك؛ ليدّبروا آياته، وليتذكر أولوا الألباب ﴾

سورة ص. الآية 29

﴿ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾

سورة فصلت. الآية 3

﴿ أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها ﴾

سورة محمد. الآية 24

((القرآن حجة لك، أو عليك))

محمد صلى الله عليه وسلم

صحيح مسلم

((أحبُّ الخلق إلى الله، أعلمهم بما أنزل))

القرطبي عن مكحول

26\1

((وظيفة المفسر وظيفة نبوية، حيث لا نبوة له))

خالد

الإهداء

إلى:

من أحب القرآن؛ فقام ليخدمه، ولم يجلس ليخذله.

وإلى من أدرك أنه كتاب عمل، لا مجرد كتاب قول.

الفهرس

الفهرس

المقدمة 15

المبحث الأول

بين التفسير والتأويل

ضوابط الإجراء التأويلي.....33

-أنواع التفسير 35

-مناهج أنواع التفسير.....38

المبحث الثاني

موارد تفسير القرآن

-القرآن.....46

-الحديث 48

-أسباب النزول 60

-أقوال التابعين.....62

-توجهات التفسير.....63

المبحث الثالث

تجميد وتجديد

-تجديد العملية التفسيرية 70

-توقيع القرآن 74

-التفاسير الاستنساخية 77

-نظرية الصمت القرآني 83

-العملية التفسيرية بين الانغلاق والانفلات 87

-المذهب الانفلاتي. 87
-وظيفة المفسر 90
- تعقيل الفهم القرآني.....91
- الإسرائيليات.....102
الخاتمة.....107
ملحق / أهم وأشهر كتب التفسير 111
مسرد المصادر والمراجع 119

كلمة قبل الدخول

نحن والقرآن:

شرفنا الله بالقرآن؛ فكان خاتم رسالاته، ومستودع آياته، وحافظ تشريعاته. وحين استقرَّ بيننا؛ رأيناه كتاباً مقدساً يجب حفظه، ولم نره تشريعاً مقدساً يجب تطبيقه. انغمسنا في مسابقات التلاوة والحفظ، وهجرنا مسابقات الاتّباع والعمل. وصار عند الأكثرين تحفة للتعليق، لا دستوراً للتطبيق. وبرعنا في تزيينه وتجليده، وقصرنا في تحفيظه وتجويده، وأكثرنا من قراءته على الأموات، وأهملنا قراءته على الأحياء.

المقدمة

الحمد لله حمداً يكافئ نعمه، ويدفع نقمه، ويستجلب مزيده، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، وعلى عترته المطهرين، وصحبه المخلصين، والأئمة السالفين، وكل متبعٍ من الخالفين.

يمثل القرآن ركيزة قطبية في أساسات الديانة الإسلامية، فهو المنهل الأساسي والمركزي لاستقاء حقائق ومفاهيم وتعاليم ومطاليب الإسلام. ولم يقع خلاف في هذا الواقع بين أكثر طوائف ومذاهب المسلمين.(*)

كما أن التراث الإسلامي العربي -أغلبه- لم يقم إلا على أكتاف النص القرآني المجيد، وهذا ما نلقاه ماثلا في كتب الفقه بمذاهبها، وكتب التفسير بمناهجها، وعلوم القرآن ومباحثها، ثم كتب الفلسفة وأفرقتها.وكذا كتب الأدب واللغة بشواهدها، واعتضاد واعتماد كل أوائك على أحكام، ولغة،وأمثال، وقصص القرآن.

وليس يغيب عنا أن الأدب بأجناسه وصوره قد تأثر وتوجَّه على المستوى اللغوي، والأخلاقي القيمي بالقرآن؛ وهذا مما دعا بعض مؤرخي الأدب إلى وضع قسم منه تحت اسم الأدب الإسلامي ، ثم ظهور ما عرف بأسلمة الأدب، على رغم كون الأدب في أصلة منتجاً إنسانياً إبداعيا غير خاضع لدين، أو عرق، أو جنس.(1)

لقد طلب الله – تعالى – من المؤمنين تحقيق التدبر في القرآن ، بعد مرحلة السماع والإنصات؛ ولم يحدد منهجاً مخصوصاً لذلك التدبر. فلم ينص على استبطان النص، ولا استظهاره، ولا تفكيكه ، ولا تركيبه، ولا تشريحه، ولا

---

(1) الفكر الديني عند النيهوم – خالد إبراهيم المحجوبي- مجموعة النيل العربية. القاهرة. ط1-2010- ص34.

ترميـزه، ولا تأويلـه. إنمـا طلـب التـدبر المعـادل لمعنـى التأمـل المركَّـز بطبيعـةٍ عقليـة فطريـة سمحـة، لاتكلـف فيهـا ولا تكلّـس، تحـت أضـواء النصـوص النبويـة، ودلالات اللسـان العربـي. فهـي عمليـة تـدبر غـير غائمـة، ولا عائمـة، ولا عادمـة، ولا عاديَة.

هـذه كلـها أوصـافُ حـالاتٍ لـو أصـابت الـنص المجيـد لحولتـه إلى شـظايا معنويـة يحوطهـا التنـاقض، ويلفهـا الغمـوض علـى النحـو الـذي حققتـه كـثيرات مـن التفاسير القرآنية العائلة عن سواء السبيل.

وقد شكا الواحـدي مـن نحـو هـذا الحـال حـين قـال عـن أوضـاع النـاس مـع القـرآن في عصـره ((أمـا اليـوم فكـل أحـد يخـترع شـيئاً، ويختلـق إفكـاً وكـذبا؛ ملقيـاً زمامه إلى الجهالة))[1].

سـأعمد هنـا إلى تشـخيص التوجهـات التفسـيرية، ثـم توجهـات العلمـاء والمفكـرين مـن حيـث نظـرتهم إلى الحصـيلة التفسـيرية، والـتراث التفسـيري بمـا انضـمّ عليـه مـن تفاسـير متباينـة المـوارد والسـواقي، سـأتعرض لكـل ذلـك منتهجـاً المنهج الاستقرائي الوصفي، مشفوعاً بالمنهج النقدي، في سياق تقويمي تقييمي.

-كتبه خالد بن إبراهيم المحجوبي

الرباط - المغرب

صرمان - ليبيا

(1) أسباب النزول. للواحدي 1\2

مصطلحات الكتاب:

سيحوي هذا الكتاب تعابير جديدة، ومصطلحات أساسيةً، يجب ضبط مفاهيمها دفعاً لأي التباس قد ينسرب إلى فهم القارئ، وهي التالية [1]:

- النص المجيد – النص المقدس. أعني به القرآن الكريم.
- (التطبيق التفسيري – العملية التفسيرية): أي عملية تفسير القرآن عملياً.
- (موارد التفسير): أي المصادر التي يُعتمد عليها في فهم واستبانة معاني القرآن، واستيعاب دلالات كلماته وآياته.
- (التفسير الجزئي): هو تفسير بعض القرآن، من غير أن يتناول المفسرُ النص القرآني كاملاً.
- التراث التفسيري:أي مجموع التفاسير التي وضعها أسلافنا المفسرين من مختلف الفرق الإسلامية.

- (توقيع القرآن):

أي ربطه بالواقع الإنساني المعيش، ببيان دلالات النص،وأحكامه على نحو يصلها بالحياة العملية الواقعية للإنسان.

- تجديد الفكر الديني – تجديد مناهج التفسير:

أعني بالتجديد عملية إيجاد آراء، وطرح أفكار، ومنهاجات جديدة،لم يسبق طرحها قديماً، بغض النظر عن قيمتها، وقوتها، وصحتها. فلفظة التجديد هنا لا تحمل في ذاتها حكماً قيمياً.

---

(1) ما كتبته بين قوسين هي تعابير اقترحتُها لتستعمل اصطلاحياً بين الباحثين.

مدخلٌ تساؤليٌ:

هـذا مـدخل يطـرح سـؤالاتٍ مركزيـةً، تحتـاج وقفـات طويلـة عميقـة، وسيقوم هذا المسطور بواجب الإجابة عن بعضها.

السؤالات :

- هـل في مصـلحة المسـلم المعاصـر الاكتفـاء بمـا اسـتخرجه الأسـلاف مـن معـانٍ حواها القرآن؟
- هـل في مصـلحة القـرآن عـدم تفعيـل المنـاهج الحديثـة في استكشـاف في العـالم الدلالي للنص المجيد؟
- الـنص القرآنـي، أهـو نـص صـامت، أم نـاطق؟ ومـا مقتضـى كـل حالـة مـن الحالتين؟
- هـل اتخـذ الـنص القرآنـي لـه لغـة خاصـة، غـاير بهـا مـا اسـتقر وشـاع لـدى العرب، على مستوى المصطلحات والدلالات؟
- هل استطاعت التفاسير القديمة تقريب القرآن إلى الناس؟
- هـل كـان القـرآن أصـلاً في حاجـة لمـن يقدمـه للنـاس، أم أنهـا وسـاطة حَشْـرية غير مشروعة، كما يقول كثيرون من الحُدثاء؟
- إذا كـان هـدف المفسـرين قـديما وحـديثاً تقـديم مـراد الله تعـالى سـهلاً جليـاً للناس، فهل تحقق ذلك الهدف؟

أقـول هنـا: لـن يكـون مـن الصـواب تعمـيم الجـواب – عـن مـا سـلف- بـالنفي، ولا بالإيجـاب؛ فقولنـا نعـم بـإطلاق، يحـوي تعميمـاً يغضـي عـن الـدور الضـار الـذي اجترحتـه بعـض التفاسـير الـتي شـوّهت كـثيراً مـن معـاني القـرآن، ودنَّست كثيراً من كنوز دلالاته وإرشاداته.

بـل قطـع بعضـها الطريـق الواصـل بـين سـلامة التفكُّـر، وبـين الـنص المجيـد، بل لغَّـم بعضـها ذلـك الطريـق بمفـاهيم وأفكـار دخيلـةٍ علـى بنيـة العقيـدة الإسـلامية،

والفكر الإسلامي، بلغ من خطرها الوصول إلى درجة ((تأطير النص القرآني نفسه؛ فلا يفهم إلا في ضوئها))[1].

وإذا أجبنا بقولنا لا بإطلاق؛ فقولنا هذا سينطوي على تعميم عائل، يغمط جهود كثير من المفسرين المُجيدين والعلماء المتقنين، الذين أفلحوا في تقديم القرآن سهلاً مذللاً وميسَّراً إلى جماهير وعوام المؤمنين. مصدقين قوله تعالى﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾.[2]

من هنا فإن الدقة والإنصاف يوجبان علينا تقديم جواب حذر، غير داحضٍ في مزالق الإطلاق، و لا واجبٍ في مهاوي التعميم؛ فنقول: إن الهدف الذي سعى إليه علم التفسير لم يتم تحقيقه في صورة مثالية، إنما تحقق طرف منه. وظلت التجربة التفسيرية بتراثها التفسيري حاملة لمناقص، ونقاط ضعف لا يمكن الإغضاء عنها، في الوقت الذي لا يمكننا ولا نرتضي من أحد- في لحظة غرورٍ حداثية - أن ينسف قيمة وفضل و مجهودات كثير من المفسرين الأسلاف، الذين أفادوا وأجادوا فيما سطروا من تفاسيرهم، التي رقموها وجهدوا في تحبيرها، وتحريرها. حتى وصلت إلينا على ما هي عليه.

---

(1) نحن والقرآن: مقدمات في أصول التدبر – مصطفى أبو هندي ص4.

(2) سورة القمر الآية17.

المبحث الأول

القرآن بين التفسير والتأويل

المبحث الأول

القرآن بين التفسير والتأويل

القرآن بين التفسير والتأويل

إن أهم مصطلحين في عالم استكشاف واستغوار القرآن هما: التفسير، والتأويل. وقد أحاط بهما خلط، وخلاف دلالي؛ من مباعثه عدم انضباط دلالة كل منهما في الزمن الأول من تاريخ التفسير القرآني حيث كانا يستعملان مرة بمعنى واحد، ومرة بمعنيين، وأخرى بأكثر من معنيين.

إن كلا منهما – أعني التفسير والتأويل- يمثل منهجاً إجرائياً لمقاربة وبيان المعاني المودعة وسط النص القرآني المجيد، كما أن كلاً منهما في مسيرته الطويلة قد تعرض للتجميد، والتجديد.

أما التجميد فقد أفقدهما الفاعلية، وأما التجديد فقد جاء على صور غير متساوقة من حيث النفع والجدوى، فليس كل تجديد نافع ، ولا كل تجديد ضار إنما الضرر والنفع في الفحوى وما تقتضيه من نتائج، لا في الجدة الزمنية بذاتها، أو التأخر الزمني بذاته.

أولاً - التفسير:

على المستوى اللغوي نجد كلمة التفسير راجعة إلى الفَسْر، وهو في لغة العرب يعني: ((الإِبَانَةُ وكَشْفُ المُغَطَّى كما قاله ابنُ الأَعْرابيّ أَو كَشْفُ المَعْنَى المَعْقُول... كالتَّفْسِير. والفِعْلُ كضَرَب ونَصَرَ يقال: فَسَرَ الشيءَ يَفْسِرُه ويَفْسُرُه وفَسَّرَه: أَبَانَهُ. قال ابنُ القَطَّاع والتَّشْديد أَعَمُّ. والفَسْرُ أَيضاً: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلى الماءِ كالتَّفْسِرة، كتَذْكِرَة. أَو هِيَ أَي التَّفْسِرَةُ : البَوْلُ الذي يُسْتَدَلُّ به

على المَـرَضِ)) [1] ومـن اسـتعمال التفسـير بمعـى الإيضـاح والإبانـة قولـه تعـالى﴿ **ولا يأتونـك بمثـل إلا جئنـاك بـالحق وأحسـن تفسـيرا** ﴾[2] أي أفضـــل وأبلـــغ في التوضـــيح والإبانة.

وبهـذا المعنـى ورد قـول ابـن فـارس ((الفـاء والسـير والـراء كلمـة واحـدة، تدل على بيان الشيء وإيضاحه))[3]

أمـا في الاصـطلاح: فقـد تنوعـت ألفـاظ التعـاريف الموضـوعة للتفسـير مـا بين موجزة ومطولـة، ودقيقـة، وغـير دقيقـة تخلـط علومـاً أخـرى بعلـم التفسـير. لكـن أكثرها يؤدي إلى معنى واحد مع إضافة بعض العناصر أو حذفها.

مـن ذلـك تعريـف أبـي حيـان الأندلسـي قـال في البحـر المحـيط: ((علـم يُبحـث فيـه عـن كيفيـة النطـق بألفـاظ القـرآن، ومـدلولاتها، وأحكامهـا الإفراديـة والتركيبة، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمات لذلك)).[4]

كـذلك مـا أزجـاه السـيوطي مـن نقـل نسـخ شـبه حـرفي لتعريـف ابـي حيـان ((هـو العلـم الـذي يبحـث عـن كيفيـة النطـق بألفـاظ القـرآن الكـريم ومـدلولاتها وأحكامهـا الانفراديـة والتركيبيـة، ومعانيهـا الـتي تحمـل عليهـا حالـة التركيـب وتتمـات ذلـك))[5] وقـال الجرجـاني هـو((توضـيح معنـى الآيـة وشـأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة)) [6]

---

(1) تاج العروس للزبيدي.(فسر)3345.

(2) سورة الفرقان. 33.

(3) معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس. مادة (فسر).

(4) البحر المحيط. 1/ 26.

(5) الإتقان2/ 382.

(6) التعريفات للجرجاني ص22.

نلحظ في تعريف أبي حيان إدخاله لعلم التلاوة المختص بكيفية النطق بألفاظ القرآن، ضمن تعريفه للتفسير، وهذا مثال على التوسع في إدخال بعض العناصر كما ذكرت قبل قليل.ونحوه تعريف الجرجاني الذي أدخل فيه أسباب النزول ضمن تعريف التفسير.رغم كونه مبحثاً خاصاً له أصوله وكتبه الخاصة.مع التسليم بأن أسباب النزول من مشتملات تفسير القرآن، وهو معين على فهم كثير من الآيات ذوات الأسباب رغم قلتها، دون غيرها من غير ذوات الأسباب وهي الأغلب والأغزر.

وبعيداً عن الإطالة والاستعماق أقترح للنفسير هذا التعريف الموجز. فأقول: هو إبانة مراد الله تعالى، من كلامه القرآني، بكشف الدلالات المودعة في كلماته وتراكيبه.

تحرّج وتحرُّز الأسلاف عن التفسير:

شاع بين كثير من السلف الكرام تحرجهم عن الاقتراب من تفسير القرآن، وتهيبهم القول في آياته. ومن أشهر ما ورد من ذلك ما ساقه الطبري في تفسيره:

((قال ابن أبي مُلَيكة: سُئل ابن عباس عن آية، لو سُئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها.

وجاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن فقال له: أحَرِّجُ عليك إن كنت مسلماً، لما قمت عني.

وقال يزيد عن أبي يزيد: كنا نسأل سعيدَ بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية سكت كأن لم يسمع.

وقال عبيد الله بن عمر: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظّمون القول في التفسير. منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.

وقال محمد بن سيرين: سألت عبيد السَّلماني عن آية من كتاب الله فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أُنزل القرآن. فاتق الله وعليك بالسداد.

وقال مسلم بن يسار: إذا حدثت عن الله حديثاً، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده. وعن إبراهيم النخعي قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه.

وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها. ولكنها الرواية عن الله.

وقال مسروق: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله))[1].

وليس يقتضي ذلكم التوقي والتحرج عن التفسير أنهم تركوا التفسير، أو هجروه، أو أنه قل في زمنهم، بل إن المرئي أن التفسير في عهد التابعين وتابعيهم قد انبسط، وشاع، حتى صار ت تفاسير التابعين ومن سبقهم ومن تلاهم موئلاً مرجعياً للتفاسير التي تلتها إلى يوم الناس هذا.

وقد قدم الطبري تقسيماً ثلاثياً لصنوف التفسير القرآني:

1- قسم لا سبيل إلى الوصول إليه: وهو ما استأثر الله بعلمه، وهو ما سوف يأتي في آخر الزمان. مثل وقت طلوع الشمس من مغربها، ووقت نزول عيسى عليه السلام، ووقت قيام الساعة.

2- قسم خص الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - بعلم تأويله، وذلك مثل بيانه العملي للمقصود من آيات الصلاة والصيام والزكاة والحج؛ تبعاً للوظيفة التبيينية للنبي، وذلك بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

(1) انظر هذه الأقوال وغيرها في تفسير الطبري: 1: 77-93.

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. وكذا قوله جل وعز: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

3- ما كان علمه عند فصحاء العرب وأقحاحهم، وهو بيان معاني القرآن ووجوه إعرابه. [3].

التأويل:

يؤوب التأويل إلى الجذر (أول) و أشهر تصريفاته: آل، يؤول، أوْلاً. بسكون الواو.ورد في لسان العرب ((الأوْلُ: الرجوع، أل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع)). [4]

وقد وقع استعمال لفظ التأويل وبعض تصريفاته في القرآن في مواضع كثيرة بعضها يحتمل معنى التفسير على نحو غير قطعي، وبعضها يحتمل معنى العاقبة والمصير، والمرجع والمآل. وليس يتسع المقام هنا لبسط القول في تلكم الآيات ودلالاتها. لكن حسبنا الإشارة إلى أهمها: قال تعالى﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم** ﴾[5]. وقال{هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله...}[6]

---

(1) سورة النحل: الآية44.

(2) سورة النحل: الآية64.

(3) انظر مقدمة الطبري: 1: 92.

(4) لسان العرب. ابن منظور. مادة أول.

(5) آل عمران. 7

(6) الأعراف 53.

وقال ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولّما يأتهم تأويله﴾.[1] وقوله ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾[2]. وقال عز وجل ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾[3]

كما أسلفت لقد وقع خلط بين مفهومي: التفسير،والتأويل، حتى إن بعض أهل المعاجم، ذكر من معاني التأويل والتأول التفسير، حيث قال ابن منظور((أوله وتأوله: فسره))[4] ولا أعلم لهذا أصلاً في لغة العرب على مستوى مستوى الوضع الأصلي لدلالة الجذر أول. إنما هو بتأثير الدلالة الاصطلاحية التي جعلت من التفسير والتأويل اسمين بمعنى واحد، ودلالة واحدة عند بعض العلماء، خلافا للجمهور الذين فصلوا بينهما دلالياً على المستوى الوضعي، والمستوى الاصطلاحي جميعاً.

كذلك يبعد ما ذهب إليه بعضهم من أن من معاني التأويل السياسة.وأنه مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، وقد ورد عند الزمخشري في أساس البلاغة ((آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وائتالها، وهو مؤتال لقومه..أي سائس محتكم))[5]

---

(1) يونس 39.

(2) سورة يوسف. 6

(3) يوسف 37

(4) لسان العرب أول.

(5) أساس البلاغة. الزمخشري. مادة (أول). كما استعملت كلمة إيالة بمعنى الولاية. فيقال إيالة طرابلس، أو إيالة برقة. بمعنى ولاية طرابلس. والأرجح أن الإيالة ليست من الأوْو والتأويل بل من الولاية حدث قلب مكاني سبقت فيه الياء اللام. كما قلبت الواء ألفاً فصارت ولاية = إيالة. هذا مجرد تخمين.

وقد حاول بعض العلماء وضع تفريقات بينهما، بعد أن كانا مستعملين بمعنى واحد؛ حتى استقر الرأي على إنهما متمايزان وظيفياً ودلالياً. ففي القرون الأولى كان علماء التفسير يستعملونهما بمعنى واحد ومن هذا ما يكثر في كلام الطبري من مثل قوله ((القول في تأويل قوله تعالى..)) ثم يورد تفسيره للآية، وقوله ((اختلف أهل التأويل)) [1] يعني المفسرين. وكذلك جعل عنوان تفسيره (جامع البيان عن تأويل أي القرآن). أي تفسيره.

وعند تفسير قوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ قال أبو عبيد معمر بن المثنى: ((التأويل: التفسير))[2]

ونحو ذلك منقول عن أبي العباس ثعلب قال ((التأويل، والمعنى، والتفسير: واحد))[3]

وقد طال وامتد مبحث التفريق بينهما ووجوه التفريق، وليسه استتباع ذلك داخلاً في أغراض هذا المسطور، فسنعرض عن الانبساط فيه.ونستغني بذكر كلام الزبيدي حين قال في هذا ((التَّفْسِيرُ كَشْفُ المُرَادِ عن اللَّفْظ المُشْكل. والتَّأْوِيلُ: رَدُّ أَحَدِ المُحْتَملَيْنِ إِلى ما يُطَابِقُ الظّاهِرَ... وقيل: التَّفْسِيرُ: شَرْحُ ما جاءَ مُجْمَلاً من القصَص في الكِتَاب الكريم وتعْرِيفُ ما تَدُلّ عليه أَلْفَاظُه الغَرِيبَة وتَبْيينُ الأُمورِ التي أُنْزِلَتْ بسَبَبِهَا الآيُ. والتَأْوِيلُ: هو تَبْيينُ مَعْنَى المُتَشَابِهِ. والمُتشابِهُ: هو ما لَمْ يُقْطَعْ بفَحْوَاهُ))[4].

---

(1) ينظر تفسير الطبري. في مواطن كثيرة.

(2) مجاز القرآن 1/ 86

(3) ينظر لسان العرب مادة أول.

(4) تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي 1\ 3345. وللتوسع ينظر التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور.1/ 16 وما قبلها. و(الاتجاه العلماني المعاصر في علوم

وقد استقر في استعمالات أغلب العلماء التفريق بين دلالة التفسير والتأويل، وصار التأويل يطلق ويراد به صرف اللفظ عن ظاهر معناه، إلى معنى لا يدل إليه ظاهر اللفظ أصالة. وهذا تعريف أقترحه.ف فيه الإيجاز وإبانة المقصد عن قريب.

وليس يغرب عنا أن للتأويل بواعث تدفع إلى تبنيه منها التنزه عن المعنى الظاهر، أو تعارضه مع ما ثبت بأدلة أخرى.

ولن نطيل هنا في هذه الجزئية لوضوحها وقلة الخلاف في شأنها بين الباحثين، بعد الاستقرار النسبي الذي شهدته دلالة كل من التفسير والتأويل في ساحة الدراسات الإسلامية.

في إطار النص القرآني المقدس جاء التأويل منبعثاً بدافع ملحٍ هو تحقق وجود المتشابه في القرآن مما صرح الله بوجوده في قوله ﴿ . . . منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأُخر متشابهات ﴾(*) ثم قوله ﴿وما يعلم تأويلَه إلا الله ﴾(**).وفي هذا إشارة إلى أن التأويل متآصر مع المتشابه بعلاقة ثبوتية.

القرآن):دراسة ونقد. أحمد محمد الفاضل. دارالفتح للدراسات والنشر. الأردن. ط1. 2017م ص 512 وما تلاها.

(*) سورة آل عمران.الآية 7. هنا يجب التفريق بين المتشابه الذي نتكلم عنه الآن وبين ما يسمى في علوم القرآن علم المتشابه ، المراد به الآيات الواردة متشابهة في نظمها وكلمها ، وقد أفرد لذلك تصانيف منها ما كتبه الكسائي والكرماني ، والرازي.انظر ذلك مفصلاً في (البرهان في علوم القرآن) للزركشي 1/ 112.

(**) سورة آل عمران.الآية 7.

والمتشابه هو اللفظ الحامل معنىً غير جلي؛ مما يجعله مجالا للاختلاف الفهمي، وذاك ما استتبع وقوع ما عبر عنه الشاطبي بقوله: ((تسلط التأويل على التشابه))[1].

لكن الذي حدث كان إلى مسار آخر، حيث امتد نفوذ التأويل إلى ساحة المحكم أيضاً[2]، وهذا مسلك انحرافي خطر في سياق جدلية النص والمتلقي، بل في علاقة الله والإنسان، وهذا ما سماه الدهلوي ((الاحتيال لدفع الدلائل القرآنية)).[3]

وقد تولى تثبيت وتنظيم هذا الانحراف بعض الفرق الإسلامية الغالية، التي كان أشهرها: الإسماعيلة، والعلوية، وغلاة الصوفية النظريين، والبهائية، ثم ثلة من ممثلي التيار التجديدي-المنفلت- للفكر الديني أمثال: الصادق النيهوم، ومحمد شحرور. تطبيقياً. وكذا على مستوى التنظير برز نصر حامد أبو زيد،

---

(1) (الموافقات في أصول الأحكام)أبو إسحاق الشاطبي.دار إحياء الكتب العربية.القاهرة.3/ 99.ثم ذكر ما يراه من شروط ثلاثة يجب توفرها في المؤول به. ويعرف علماء القرآن المتشابه بأنه: ما خلا من الدلالة الراجحة على معناه انظر في ذلك: (أقاويل الثقات)للكرمي ص49.،وتفسير البيضاوي.تحقيق:عبد القادر عرفات.دار الفكر.بيروت.1996.عند تفسير الآية السابعة من سورة آل عمران. 2/ 7.وينظر (المنخول..)للغزالي.تحقيق: محمد حسن هيتو.دار الفكر.دمشق .ط2.1400. ص170 ومايتلوها وكذا كتابه (المستصفى) تحقيق: محمد عبد السلام.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1.1413ه. ص85

(2) يعرف بعض علماء القرآن المحكم بأنه ((ما لا يحتمل إلا وجها واحداً)) انظر (الفصول في الأصول) أحمد الجصاص وزارة الأوقاف الكويت 1405ه .ط1 . 1/ 373. وتفسير البيضاوي.2/ 7 . ويعرف الفراء المتشابهات بأنها الحروف المقطعة فحسب.انظر رأيه هذا في كتابه(معاني القرآن) تحقيق: أحمد يوسف.ومحمد النجار. دار السرور.بيروت.1/ 190.ونحوه في رواية الطبري عن جابر بن رئاب.وهو رأي أبي الحسن الواحدي.ينظر (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)للواحدي 1/ 199.وهو رأي ابن حزم في كتابه(النبذة الكافية) ص55.

(3) (الفوز الكبير في أصول التفسير)ولي الله الدهلوي.مكتبة التراث الإسلامي.القاهرة.ص38

ومحمد أركون. فضلاً عن كثير من المتطفلين على الساحة القرآنية المستباحة. فنصر أبو زيد-وهو من أهم من تكلم من الحدثاء في التنظير للتأويل المفتوح المنفلت- يعد التأويل هو زبدة النظر في القرآن، حيث يرى أن علوم القرآن والتفسير (تعد مرحلة تمهيدية للمرحلة الأهم: مرحلة التأويل التي تصبح مرحلة استنتاج[1].

أما أركون فقال عن النص القرآني إنه ((لايمكن اكتناهه إلا بالتأويل؛ فهو نص التأويل بامتياز)).[2] إن تقرير مثل هذه النتائج هي محاولة للتنصل من مقتضيات الدلالات التفسيرية الجلية الخارجة عن نطاق قناعة، ورضاء الضائقين بها، وبالتشريع القرآني .

وقد سيقَ التأويل إلى مراكز القواعد العامة، والأصول الثابتة للدين، برغم توكيد أكثر العلماء على أن التشابه المستجلب للتأويل ((لا يقع في القواعد الكلية، وإنما يقع في الفروع الجزئية)). [3]

ولقد ضرب هذا الانحراف التأويلي قواعد اللغة وضوابط التأويل ضربة مُقصية تتمثل دوافعها في أمور أهمها: إما مرجعيات غنوصية،أو انحرافات عقدية، أو شذوذات فكرية، سواء الشذوذات المُغرضة، أو البريئة. وقد أوصل كل ذلك إلى حالة من الاضطراب في الشريعة، والتشتت التنافري بين

---

(1) انظر للتوسع في رأيه كتابه. مفهوم النص ص 224 وما تلاها.

(2) نقلاً عن:الإنسان والقرآن. حْميدة النيفر. ص133.وللاطلاع على بعض تطبيقات أركون الترميزية والتأويلية ينظر كتابه: القرآن من التفسير الموروث ،إلى تحيل الخطاب الديني. ص145 وما تلاها ف قراءته لسورة الكهف

(3) (الموافقات...)للشاطبي 3/ 58-59.

الطوائف والأفرقة في الإسلام؛ وهذا ما جعل ابن القيم يقول: ((فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو التأويل، الذي لم يُرِدْه الله ورسوله بكلامه)).[1]

ولما ظهرت هذه الأدواء عمل بعض العلماء على وضع عواصم وقائية للحؤول دون توظيف التأويل لأوطار غرضية زائفة وضارة.

ضوابط الإجراء التأويلي:

ولقد تمثلت تلك العواصم الوقائية في بعض الأشرُط والضوابط المنظمة للتطبيق التأويلي، كان أهمها [*]:

1-أن يكون لأي رأي تأويلي وجه ومسند في لغة العرب.

2-أن لا يُصار إليه إلا لضرورة، كتعارض العقل مع النقل، أو احتمال النقل تفسيرا غير لائق بالذات الإلهية المقدسة.

3- أن لايشاع في الكتب الجمهورية، وعلى مسامع العوام.

4-أن لايكون التأويل مصادماً لنص آخر صريح الدلالة.

5-بيان دليل الصرف عن الظاهر.

---

(1) (إعلام الموقعين...)ابن القيم..4/ 216.وعن دور التأويل في اضطراب الشريعة وتشتيت الأمة ينظر ماقاله ابن رشد في كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة)تحقيق: مصطفى حنفي.مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت.ط1.1998.ص208.وقد عرض-علاجا لذلك-قانونا مركزاً للعملية التأويلية ينظر ص205وما بعدها= =من الكتاب المذكر.كذلك ينظر نقوده لإشاعة التأويل وعدم الدقة في تطبيقه ما كتبه في (فصل المقال...)ص121ومابعدها ، وص149وبعدها.كذلك أشار إلى تلك النتيجة المذكورة في المتن أعلاه ، ابن القيم في (إعلام الموقعين...) 4/ 251

(*) تنظر شرائط وضوابط التأويل في (قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين) إبراهيم حسن.دار قتيبة.دمشق.ط1.1993. 1/ 135.و(الموافقات...)للشاطبي 3/ 99 وما بعدها. وينظر البحر المحيط في أصول الفقه. الزركشي 3/ 443

إن هاتـه الخمسـة الضـوابط، كفيلـة – لـو أنهـا طبقـت- بـأن تحجـز كـثيراً مـن العبـث، والتجـاوز الـذي عانـت منـه كـثيراً نصـوص القـرآن المجيـد.حين صـارت مسـتباحة لضـروب مـن التأويـل المنفلـت، المتوجـه بـأهواء بعضـهم، وجهـالات غيرهـم، علـى نحـو أزرى بهيبـة الـنص المجيـد، وألـبس -علـى كـثير مـن المسـلمين- فهم غاياته، ودلالاته، وشرائعه، وأحكامه.

إن دعاة مـا أسميـه: التجديـد الجـذري للفكـر الـديني، يتولـون دعـوة رائسـة لا أراها نافعـة للقـرآن، تحـوي التوكيـد علـى فـتح موسـع لاجتهـادات تأويليـة مطلقـة تهطل على البنية النصية للقرآن.وتعصف بها.

وقـد انبنـى هـذا علـى نظريـة خطـيرة اسميهـا نظريـة إسـكات القـرآن، ومفادهـا أن القـرآن نـص صـامت – حسـب تعـبير محمـد أركـون- وحسـب مـا بـين عبـد الكـريم سـروش حـين قـال((القرآن بنفسـه لا ينطـق، فـنحن الـذين ننطـق عنـه))[1] وسـتكون لـي وقفـة خاصـة مـع هـذا الطـرح في مـوطن لاحـق مـن هـذا الكتاب.

مما نلاحظه أنهـم يرمـون إلى أمـر آخـر فيـه نفـع لا يحسـن نكرانـه، وهـو إلغـاء مرحليـة ومركزيـة الفهـم الـديني، بمعنـى عـدم الاعتمـاد علـى مرحلـة مـا، فضـلا عـن عدم حصر الاستقاء الفهمي من النص منعزلاً عن الواقع.

إن هـذه السـبيل كفيلـة بمصـاقبة ودرك حقيقـة الـدعوة الدينيـة، وتحقيـق مـراد الشـارع الحكـيم، كمـا أ ن الازورار عـن هاتـه المنهجيـة التجديديـة سيسـوق إلى مـا وصـفه طيـب تيـزيني بأنـه ((عـزلُ الإسـلام عـن عمليـة التـدفق النـوعي للتقـدم التـاريخي [حيـث يحصـل]التفريط بروحـه ووهجـه لحسـاب لفظـه ورمـاده [إن إهمـال

(1) صرح لي بذلك أركون في لقاء شخصي مباشر معه في طـرابلس –ليبيـا بتـاريخ 2006م. في فنـدق كورنثيا.وانظر رأي سروش في كتابـه بسـط التجربـة النبويـة. دار الانتشـار العربـي.بيروت.ط1-2009-ص321

تطبيق المنهج سالف الذكر، أمر سيدخل المفكر الديني في] حالة من الاغتراب الواقعي والذهني))[1]، حيث يؤول عائشاً في غير حينه، ومفكراً بغير عقله، وماكثاً في غير وقته.

وفي نطاق محاولات استثمار التأويل يعمل كثير من الباحثين المعاصرين على إرساخ فكرة وجود مستويين للنص الديني هما:((نص تنزيل، ونص تأويل...؛ ذلك لأن النص المقدس ما أن انتقل من فضائه الإلهي إلى الفضاء الإنساني؛ حتى أخذ يعيش حالة من التشظيّ الدلالي..عبر البشر الفرادى والمجتمعين)). [2]

أنواع التفسير

تواضع أكثر علماء التفسير على إقرار أربعة أنواع للتفسير هي [3]:

1 – التفسير بالمأثور:

حيث يتم الاعتماد على المنقولات المروية عن النبي عليه الصلاة والسلام، وعن الصحابة، وعن التابعين. من أشهر كتب هذا النوع تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ – ومعالم التنزيل، لأبي محمد البغوي 510هـ. و تفسير القرآن العظيم، لابن كثير 774هـ، والدر المنثور للسيوطي 911هـ.

---

(1) (الإسلام والعصر تحديات وآفاق) طيب تيزيني. ومحمد البوطي.دار الفكر دمشق.ط2.1999.ص100،ص102.

(2) نفسه.ص102.وتسمى هذه الحالة بجدلية التناص ، والتعددية القرائية، والتعددية الدلالية.والتشظي هنا بمعنى التعدد والكثرة.

(3) للتفصيل انظر مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني 2 \14 وما قبلها. و(القرآن وعلومه والحديث وعلومه) محمد خلف الله ص32

يرى الغلاة من دعاة هذا الضرب التفسيري، أن فهم القرآن موقوف على السماع. وهذا رأي يحرم إبداء الرأي الطارف غير المسبوق، ويحجر إعمال العقل في محاولة إدراك مراد الله تعالى، وظل كثيرون يرددون قول ابن تيمية ((فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام))([1]) غير مميزين بين التفسير بالرأي، و بين التفسير بلا علم، الذي ورد فيه وعيد النبي فيا روي عنه ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار))([2]) وهو حديث ضعيف لا حجة في أمثاله، وأوهن منه ماروي ((من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ))([3]).

وقد كان على ابن تيمية-رحمه الله- أن يتحرز ويحتاط لمثل هذا، حين يطلق حكماً بالتحريم ثم يستشهد له بأدلة واهية ضعيفة؛ يتلقفها الجهال المؤهلون للتحجر؛ فيغلقوا على أهل الفهم باب استثمار عقولهم في درك مراد الله من القرآن.

2 - **التفسير بالرأي:**

هنا لا يقيد المفسر عقله وفهمه بمنقولات السلف، بل يتيح لعقله القيام بالمهمة التي لأجلها خلقه الله؛ فيتأمل ويتدبر في كلام الله، ويقول ما وصل إليه، بناء على مواهبه الفَهْمية، وآلاته المؤهلة.

ومما يحسن التنبيه إليه هنا، أن هذا النوع لا يقيم قطيعة تامة مع المأثورات والروايات التالدة، الواردة عن الأسلاف، بل يستعين بها، ويستنير بها، لكن على نحو غير حصري وجبري، كما هو الحال في التفسير بالمأثور.

---

(1) مقدمة في أصول التفسير. ابن تيمية 98. وقد طبع لابن تيمية تفسير تحت عنوان التفسير الكبير.

(2) خرجه الترمذي من طريق سفيان بن عبد الأعلى ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم 5749

(3) خرجه الترمذي وغيره بسند ضعيف. للتوسع انظر ضعيف الجامع للألباني برقم 5748. وتفصيل القرطبي للكلام فيه في مقدمة تفسيره ط دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1985 ص 1 \31 وما تلاها

لـذلك فـإن التفسـير بـالرأي لا يبـدأ مـن الصـفر، ولا ينطلـق مـن العـدم، بـل هـو متأسـس علـى قاعـدة نصوصـية أثريـة سـلفية، لكـن وجـه مخالفتـه للتفسـير بالمـأثور، يكـاد ينحصـر في طريقـة التعامـل مـع المـأثور، نوعيـاً وكميـاً، كـذلك في النظرة القيمية الموجهة إليه.

وقـد كـان أشـهر تفاسـير هـذا النـوع: مفـاتيح الغيـب، للفخـر الـرازي المتـوفى سـنة 606هـ وأنـوار التنـزيل وأسـرار التأويـل، للبيضـاوي 691 هـ وتفسير علاء الدين الخازن 741 هـ.

3- التفسير الإشاري:

هـذا النـوع يعتمـد علـى بيـان مـا تحملـه كلمـات وتعابـير القـرآن، مـن إشـارات لمعـانٍ غـير ظـاهرة للعـوام، وغـير متاحـة في القـراءة غـير المدققـة في الدلالات القرآنية.

وقـد حـوى هـذا النـوع ميَلانـاً ذميمـاً عـن ظـاهرات الـدلالات القرآنيـة، وتكلفـاً غـير محمـود في ادعـاء أصـحابه حمـولات إشـارية دلاليـة ألصـقوها بـالنص المجيد. وبرغم لطافـة وطرافـة كـثير منهـا، إ لاّ أنهـا لا تـدخل مـن بـاب العلـم القـويم المنهج الموثق.

مـن أمثلـة ذلـك قـول(ابـن عجيبـة) في تفسـير كلمـة {طـه} قـال: ((فالطـاء تشير إلى طهارتـه صـلى الله عليـه وسـلم، وتطهـيره مـن دنـس الحـس، والهـاء تشـير إلى هدايته في نفسه، وهدايتهِ غيرَه إلى حضرة القدس)) ([1])

كـان مـن أشـهر تفاسـير هـذا النـوع تفسـير سـهل التسـتري المتـوفى سـنة 283 هـ. و تفسـير عـرائس البيـان في حقـائق القـرآن لأبـي محمـد الشـيرازي المتـوفى عام 606 هـ. و البحر المديد،لابن عجيبة.رحمه الله.

---

(1) البحر المديد – ابن عجيبة 3\495

4 – **التفسير العلمي:**

هو نوع من التفسير يهتم ببيان موافقات العلم الحديث وكشوفاته، مع ما ورد في النص المجيد، وتوكيد سبقِ القرآن لتقرير تلكم الكشوفات العلمية.

من أشهر من كتب في هذا:الشيخ طنطاوي جوهري في(الجواهر في تفسير القرآن الكريم). و زغلول النجار، وعبد المجيد الزنداني.في كثير من كتاباتهما، فضلاً عن محاضراتهما.

منهجيات أنواع التفسير المذكورة:

إن كل نوع من هاتيك الأنواع يحمل تصريحاً بمنهجيتة التفسيرية، حسب التبيين التالي:

فالأول (بالمأثور):

منهجه قائم على استحضار واعتماد و استنقال ماورد من آثار ونصوص سالفة، شملتْ بيانات تفسيرية للنصوص المجيدة.

أما الثاني (بالرأي):

فينتهج طريق الاجتهاد العقلي التدبّري الذاتي للمفسر، مستعينا بما وهبه الله من إمكانات فهمية، ومعرفة علمية باللغة وعلوم الشريعة، ثم ما يهبه له تدبُّره وتأمله في النص القرآني، من غير قطيعة تامة مع المأثورات والآثار.حيث يتم الاستئناس والاستنارة بالآثار السالفة والمأثورات القديمة.

والثالث (الإشاري):

هو ضرب من التفسير ينتهج طريقاً استبطانياً بالاعتماد على ما يبدُر من إشارات تحملها آيات القرآن؛ فيتبنى ما سنح منها بوصفها حاملة للمعنى

الأصلي، أو الدقيق الخفي. وهذا النوع مرتبط بالاستمدادالذوقي، والتخيلي والتصوري التأملي على نحو ما شاع لدى غالب الصوفية.[1].

والرابع(العلمي):

منهجه معتمد على إضاءة معاني الآيات بما تحقق إنجازه من فتوح ومكتشفات علمية، تسهم مباشرة في إيضاح وتوكيد دلالات كثير من النصوص القرآنية، من غير استغراق للقرآن كاملاً.هذا النوع من التفسير هو تفسير جزئيٌ غير مستغرق للنص المقدس كاملاً، لأن ماله علاقة بالعلم وكشوفه معدود ومحصور من وسط توليفة الآيات القرآنية الشريفة.

ولقد رأينا ولوعاً من كثير من حدثاء علماء التفسير بتكثير أسامي أنواع التفسير وتوجهاته، فتبعاً لكثيرة مناهج مقاربة ودرس واستنطاق واستفهام الدلالات القرآنية؛ تعددت أنواع التفسير حتى إن الواحد منها قد يسمى بأكثر من اسم ظناً وتوهماً أنه غير غيره، أو أنه سوى سواه.

ومن أهم وأشهر تلك الأنواع ما يلي [2]:

1- التفسير التحليلي يبحث في معاني الألفاظ ومراميها والمقصود منها، وارتباطه بالتفسير المقاصدي ظاهر؛ إذ معاني الألفاظ ودلالاتها هي إحدى مسالك الكشف عن المقاصد من الآيات الكريمة، وفي الوقت نفسه ينضبط النظر التفسيري التحليلي بمقاصد الآيات والسور؛ فضلا عن المقاصد العامة للقرآن الكريم.

---

(1) للتوسع والتفصيل في هذا النوع من التفسير ينظر (أثر الفكر الصوفي في التفسير:دراسة ونقد)بهاء الدين حسن سليمان. رسالة ماجستير.نوقشت بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامي بغزة. ص58 وما قبلها

(2) انظر بيان هاته الأنواع في كتاب: نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم: رؤية تاسيسية لمنهج جديد في تفسير القرآن. وصفي عاشور. دار مفكرون الدولية للنشر والتوزيع. ص15-16

2-التفسير الموضعي الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحد من القرآن الكريم، متتبعاً ترتيب الآيات في سورها، يحتاج إلى النظر المقاصدي في القرآن الذي يقيم انسجامًا واتساقا بين أحكام هذا الموضع ومقاصد القرآن، وينكشف كذلك مقصد هذا الموضع من خلال تتبعه في القرآن؛ حيث تتضح رؤية القرآن حول هذا الموضع ومقاصده ومعالمه.

3- التفسير الإجمالي يبين معاني السورة إجمالا وهو مرتبط بالتفسير المقاصدي كذلك؛ إذ ينطلق من مقاصد السورة التي تنكشف من خلال آيات السورة واستقراء ما ترمي إليه.

4- التفسير المقارن، فهو يعرض أقوال المفسرين في الآية أو الجزء من الآية ثم يبين مرجوحها من راجحها، وضعيفها من قويها.

5- وأما التفسير الموضوعي فهو يتناول موضوع السورة أو موضوعا يتتبعه في آيات القرآن جميعا، والهدف منه هو الكشف عن معالم الموضوع، ورؤية القرآن له، وبيان مقاصد القرآن الكريم من موضوع السورة أو موضوع ما.

6- التفسير السنني الذي يتناول القرآن في ضوء علم السنن فهو وثيق الصلة بالمقاصد وفكرها؛ إذ لا فهم للسنن إلا مع فكر المقاصد، ولا حركة للمقاصد في الواقع إلا في ظلال السنن الربانية.

7- التفسير المقاصدي. ينطلق من التسليم بمحورية المقاصد وضروريتها وأوَّليتها لدى المفسر حين ينظر في القرآن العظيم بمناهج تفسيره جميعا.[1]

---

(1) للتوسع في هذا النوع ينظر كتاب نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم...وصفي أبو زيد ص17وما تلاها.

ولا يغـرب عنـا أن هاتـه الأنـواع ليسـت بـدعاً مـن القـول، إنمـا هـي مستودعة في مجمل ومجمـوع التفاسـير قـديما وحـديثاً. إنمـا نحـا بعـض البـاحثين الحُـدثاء إلى إفرادهـا بالاهتمـام والتركيـز علـى نحـو قـد يتصـور الـبعض منـه أنهـا توجهـات جديدة متطرئة في مقاربة وتفسير القرآن المجيد.

المبحث الثاني

موارد تفسير القرآن

المبحث الثاني

موارد تفسير القرآن

موارد تفسير القرآن

رتب جمهور علماء التفسير القرآني، وعلماء القرآن بعامة موارد ومرجعيات مخصوصة لتكون مصدرًا حصرياً لاستقاء معاني ودلالات النص المجيد، تلك المصادر هي التي أسميها (موارد تفسير القرآن). ورأوا أن تلك الموارد هي الأضمن، و الأصرح، والأوضح، والأرجح في تفسير وبيان المفاهيم والمعاني القرآنية.

ويجيء هذا الترتيب في صورته الحصرية –المستبعدة للتدبّر والتفكّر– أداة من الأدوات التي استخدمت في تجميد مناهج التفسير، وقطع الطريق أمام التجديد المنهجي في التعامل مع العالم الدلالي للنص المقدس.

وليس يخفى أن الاقتصار على هاته الموارد وعدم عدِّ التفكّر و التدبر العقلي فيها؛ هو نوع من المصادرة الظالمة لحق الإنسان العالم في الاستفادة من عقله وفهمه الذي حباه الله تعالى به، وحثه على استثماره في إدراك المراد الإلهي المكنون في القرآن المجيد.

تلك الموارد التي أشرت إليها هي التي وصفها ابن تيمية –رحمه الله– بأنها ((أصح الطرق)) [1] بعد وضعه سؤالا افتراضياً هو ((...فما أحسن طرق التفسير؟)) [2].

---

(1) مقدمة في أصول التفسير – ابن تيمية – دار الصحابة للتراث. طنطا – مصر ط1 1988. ص92.

(2) نفسه ص92.

أما تلك الموارد فهي التالية:

1 -**القرآن:**

اصطلح وتواضع علماء القرآن على أن أول وأولى مصادر التفسير هو القرآن، حيث نجدتوضيحاً و تفسيرًا لبعض الآيات، أو الكلمات في مواضع أخرى من القرآن.وقد أقر بعض الحُدثاء ممن لهم جهود تجديدية في مقاربة وتفسير القرآن، بجدوى الاعتماد على القرآن في فهم القرآن. من ذلك ما اعتمده محمد عابد الجابري من منهج قائم على ما عبر عنه بقوله((جعلُ المقروء معاصراً لنفسه، ومعاصراً لنا في الوقت نفسه))[1].

ثم ذكر أن أحسن طريق إلى تطبيق هذا المنهج ذلك المبدأ الذي ((نادى به كثير من علماء الإسلام، مفسرين وغيرهم، وهو أن القرآن يشرح بعضه بعضاً...من دون إقصاء الروايات التي يعتمدها التفسير بالمأثور إقصاءً كلياً))[2]. وقد كان أول من طبق هذا لنوع التفسيري سيدنا رسول الله، يشهد لذلك ما ورد في البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله

---

(1) مدخل إلى القرآن الكريم. الجزء الأول في التعريف بالقرآن. محمد عابد الجابري. مركز دراسات ا لوحدة العربية. بيروت.ط2. 2007م ص28

(2) نفسه ص28. التعبير المشهور هو أن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

(3) سورة الأنعام: الآية82.

عليه وسلم: ليس ذلك، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: "يا بني لا تشرك بالله. إن الشرك لظلم عظيم"[1].

ومن المثالات الموضحة لهذا النوع -أعني تفسيرالقرآن بالقرآن-،[2] قوله -جل وعز- ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾[3]. فهاته الآية لم تذكر المستثنى ذكراً جلياً، ثم جاء بيانه وتفسيره في قوله جل وعز {حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة، والموقوذة والمتردية، و النطيحة، وما أكل السبُع...}[4]

ومن المثالات في هذا الباب قوله تعالى ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾[5].

هاته الآية نلقى تفسيرها وتوضيحها في سورة الأنعام في قوله ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما

---

(1) سورة لقمان: الآية13 وانظر الحديث في جامع الأصول جامع الأصول في أحاديث الرسول عليه السلام، لابن الأثير. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان وآخرون، الطبعة الأولى 1389هـ - 1969م، دمشق. 2: 134.

(2) ينظر للتفصيل: سنن الترمذي.كتاب تفسير القرآن عن رسول الله. ص764 وما تلاها. وينظر:دراسات في أصول التفسير.محمد كبير يونس. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس ليبيا. ط1. 2002م.ص 38.

(3) سورة المائدة. الآية 1.

(4) سورة المائدة. الآية 3.

(5) سورة لنحل. الآية 118.

حملت ظهورهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم﴾[1]

وعند استتباع أنواع التوضيحات والتفسيرات التي نلقاها في القرآن للقرآن، اتضح أنها تتنوع إلى الصور التالية:[2]

- تفسير المجمل بالمبين
- تفسير العام بالخاص، الذي يقوم بتخصيصه.
- تفسيرالمطلق بالمقيد، خلال عملية التقييد.
- تفسير المنسوخ بالناسخ
- الجمع بين القراآت.
- تفسير القرآن بحسب مقاصده.

المورد الثاني:

2 -**الحديث النبوي:**

حيث ورد عن النبي الكريم عدد من الأحاديث التي تحوي تفسيراً وبياناً لبعض الآيات القرآنية.

وتعد كتب الحديث – الصحاح، والسنن، والمسانيد، والأجزاء...- مصدراً رئيساً لتلكم الأحاديث التي حملت تفسيرات نبوية لبعض الآيات، من ذلك ما نجده عند مسلم، حين أفرد كتاباً في صحيحه سماه (كتاب:التفسير)[3]. كذلك جمع أبوداوود في سننه ما تيسر له ضمن (كتاب: الحروف والقراءات)[4]. وكان من أوسع ما جمع من ذلك، ما عند الترمذي في سننه، تحت عنوان

---

(1) سورة الأنعام. الآية 146.

(2) انظرها مفصلة في: دراسات في أصول التفسير.محمد كبير يونس ص39 وما تلاها.

(3) صحيح مسلم. كتاب التفسير. ص1035 وما بعدها.

(4) سنن أبي داوود. كتاب: الحروف والقراآت. ص663 وما تلاها.

(كتاب:تفسير القرآن عن رسول الله)[1].وكذا ما جمعه البخاري في صحيحه، تحت عنوان(كتاب التفسير)[2] وننبه إلى هؤلاء المحدثين وغيرهم لم يكونوا يفصلون بين الأحاديث التي تحمل تفسيراً نبوياً، وبين الأحاديث التي تبين أسباب النزول.

وقد فصل بعض العلماء في بيان وجوه التفسير الحديثي للقرآن، من ذلك ما ذكره الشافعي من أن وجوه تبيين الحديث للقرآن هي[3]:

- بيان المجمل، وتخصيص العام، وبيان النسخ، بيان التوكيد.

كذلك ركز الشاطبي على ذكر الوظيفة التفسيرية التبيينية للحديث النبوي؛ فذكر من ذلكم[4]: بيان المجمل، والتفريع على ما جاء في القرآن من الأصول، والقياس على ما جاء حكمه في القرآن.

من مثالات تفسير الحديث للقرآن، تفسيره للقوة بأنها للرمي من قوله تعالى ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾[5] سورة الأنفال من الآية60 .

---

(1) سنن الترمذي.كتاب تفسير القرآن عن رسول الله. ص764 وما تلاها

(2) الجامع الصحيح. للبخاري. دار ابن الجوزي. القاهرة. ط2010م. ص527 وما تلاها

(3) للتفصيل ينظر كتاب: الرسالة للشافعي. 22ص وما تلاها

(4) ينظر: الموافقات في أصول الأحكام. أبو إسحاق الشاطبي. دار الفكر.بيروت.4/ 14-وما تلاها. ويراجع للتفصيل دراسات في أصول التفسير.محمد كبير يونس ص187 وما تلاها

(5) ينظر تفسير الطبري 14\37. وضعف سند هذه الرواية لكنها صحت من طرق أخرى ذكرها مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه.برقم 1917. وابن ماجة في سننه كتاب الجهاد باب الرمي في سبيل الله برقم 2813. وورد تفسيره لآية {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله } النور 37. قال ((هم الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله)) خرجه السيوطي في الدر المنثور 5\52. وقال هو عند ابن مردويه وابن أبي حاتم من رواية أبي هريرة

كـــذلك ورد قولـــه تعـــالى ﴿ فبـدل الـذين ظلمـوا قـولاً غـير الـذي قيـل لهم﴾[1].وجـاء تفسـير ذلـك في الحـديث الـذي خرجـه البخـاري، ومسـلم، والترمـذي مـن حـديث أبـي هريـرة مرفوعاً((قيـل لـبني إسـرائيل ادخلـوا البـاب سـجداً، وقولـوا حطة. فبدلوا؛ فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة))[2]

وورد قولـه تعـالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه؛ نكفرْ عنكم سيئاتكم﴾[3].

هنـا لم يظهـر القـرآن المـراد بالكبـائر، فجـاء حـديث الرسـول عليـه السـلام مفسـراً ذلـك فيمـا رواه أبـو هريـرة مرفوعـاً ((اجتنبـوا السـبع الموبقـات. قـالوا: يارسـول الله وما هـن؟ قـال: الشـرك بالله،والسـحر، وقتـل الـنفس الـتي حـرم الله إلا بـالحق، وأكـل ا لربـا، وأكـل مـال اليتـيم، والتـولي يـوم الزحـف، وقـذف المحصـنات المؤمنـات الغافلات))[4].

ومما فسره الـنبي مسـتعيناً بمـا صـار يسـمى بتفسـير اقـرآن بـالقرآن، مـا ورد في البخاري ومسلم والترمذي عـن عبـد الله بـن مسـعود رضـي الله عنـه قـال: لمـا نزلـت: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[5] شـق ذلـك علـى المسلمين وقالوا: أينـا لا يظلـم نفسـه؟ فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: لـيس

---

(1) سورة البقرة. الآية 59.

(2) اللفظ للبخاري في: الجامع الصحيح. للبخاري. دار ابن الجوزي. القاهرة. ط2010. كتاب أحاديث الأنبياء. باب – رقم3403. ص406. وخرجـه مسـلم بلفـظ قريـب. في صـحيحه. ط دار الفجـر. القاهرة.سنة2010م. كتاب التفسير رقم3015، ص1035.

(3) سورة النساء. الآية 31.

(4) الجامع الصحيح للبخاري. كتاب:الحدود. باب:رمي المحصنات. رقم6857. ص807. ولفظ الترمذي ((الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس، وقول الزور.))

(5) سورة الأنعام: الآية82.

ذلك، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: "يا بني لا تشرك بالله. إن الشرك لظلم عظيم"[1].

ولسوء حظنا فإن ما ورد عنه-عليه السلام - قليل جداً، مقارنة إلى غزارة ما ورد عن غيره. من ذلك مثلاً أن الإمام مسلم ختم صحيحه بكتاب سماه كتاب التفسير، لم يخرّج فيه إلا نحو أربعة وثلاثين حديثاً، متعلقة بتفسير القرآن بالحديث، مع أن جزءً منها داخل في موضوع أسباب النزول.

3 -أقوال الصحابة:

ظهر بين الصحابة عدد ممن اهتم بتفسير القرآن، فأثرت عنهم تفسيرات لكثير من آيات القرآن. وكان أشهرهم في هذا المجال: ابن مسعود، وابن العباس.

من ذلك -مثلاً - ما خرَّجه البخاري في صحيحه عن ابن العباس، في تفسير قوله تعالى ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ قال ((الشعوب: القبائل العظام، والقبائل البطون))[2].

إذاً أُثر عن بعض الصحابة كثير من التوضيحات لمعاني آيات قرآنية، وشروح لبعض مفاهيمه، دون أن نجد أحداً منهم قد تناول القرآن كله بالتفسير. لذلك فما ورد عنهم لم يجاوز كونه تفسيراً جزئياً.

أما ما نسب لابن العباس فهو تفسير كامل، لكن لم تصح نسبته إليه. وقد اشتهر بعنوان (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس)، وهو مطبوع ومتداول.

---

(1) سورة لقمان: الآية13 وانظر الحديث في جامع الأصول 2: 134.

(2) الجامع الصحيح للبخاري. دار ابن الجوزي. القاهرة. كتاب المناقب. باب:ياأيها الناس إنا خلقناكم...) الحديث رقم3489.ص417

4 -أسباب النزول:

لا يعزُب عن المطالع للقرآن المجيد أن مجموع آياته الشريفة قدتوزعت إلى نوعين من جهة سببية النزول هما: آيات غير ذوات سبب لنزولها، وهي الأكثر والأغلب عددياً. و النوع الآخر آيات ذوات أسباب، وهي الأقل في عديدها قلة واضحة جلية. وهذه الأخيرة هي الوقائع التي نزلت آيات في شأنها تعليقاً عليها، أو علاجاً و نقداً لها. ويعرفها بعض العلماء سبب النزول بأنه ((ما نزلت الآية، أو الآيات متحدثة عنه،أو مبينة لحمكه، أيام وقوعه))([1])

وتنحصر أسباب النزول في أمرين:

1- حادثة تحدث. فينزل من القرآن ما يعلق عليها، أو يبين حكمها، أو يوجه ويحدد التعامل معها.

2- سؤال يسأل عنه النبي عليه السلام: فينزل من القرآن ما يجيب عنه . وفي ذلك يستوي أن يُتم السؤال عن أمر سابق قديم لم يشهده النبي، كالسؤال عن ذي القرنين، وكذا السؤال عن أمر حاضر في عصر النبوة كالسؤال عن الأهلّة، وعن المحيض. وكذلك السؤال عن أمر غيبي مستقبلي ، كالسؤال عن موعدالقيامة.

لذلكم فأنا أعرف أسباب النزول بأنها: مجموع الأحداث، والسؤالات التي نزل في شأنها حكم، أو بيان ، بآيات القرآن، في عصر التزيل.

أعني هنا بالحكم كل توجيه وتكليف رباني، ينزله الله في آية أو آيات،متعلقة بحادثة تقع وقت التنزيل .

وأعني بالبيان ما ينزله تعالى- من جوابات عن ما يوجه للنبي من سؤالات، سواء من طرف مسلمين أو غير مسلمين.

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد الزرقاني. 1/ 106

مـن ذلـك مـثلا مجادلـة خولـة بنـت ثعلبـة للـنبي في شـأن زوجهـا، فنـزل ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ سـورة المجادلـة الآيـة 1.كـذلك إعـراض الـنبي عـن ابـن أم مكتـوم – حسـب جمهـور المفسـرين - نـزل فيـه ﴿**عبس وتولى**﴾ سـورة عـبس الآية 1.

وفي آية ﴿**قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ [1]

أورد الواحـدي أنَّ أُبَـيَّ بْـنَ خَلَـفٍ أتـى الـنبي صـلى اللَّـه عليـه وسـلم بِعَظْـمٍ حَائِلٍ قَدْ بَلِيَ فَقَـالَ: يَـا مُحَمَّـدُ، أَتُـرَى اللَّـهُ يُحْيِـي هَـذَا بَعْـدَ مَـا قَـدْ رَمَّ؟ فَقَـالَ: «نَعَـمْ وَيَبْعَثُـكَ وَيُـدْخِلُكَ النَّـارَ»، فَـأَنْزَلَ اللَّـهُ تَعَـالَى هَـذِهِ الْآيَـاتِ: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾.

وكـذا حـين نشـبت خصـومة بـين الأوس والخـزرج بتـأثير تأريـث العـداوة بينهمـا مـن طـرف بعـض اليهـود نـزل قولـه تعـالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب؛ يرُدوكم بعد إيمانكم كافرين**﴾.[2]

ومثـال نـزول آيـات لأجـل سـؤالات معينـة مخصوصـة، نـزول قولـه تعـالى ﴿**ويسـألونك عـن ذي القـرنين، قـل سـأتلوا عليكم منـه ذكراً . . .** ﴾[3]. وقولـه ﴿ويسـألونك عـن الروح. . . ﴾[4]. وقوله ﴿**يسألونك عن الساعة. . .** ﴾[5]

---

(1) سورة ياسين. الآية[78].

(2) آل عمران. 100. انظر أسباب النزول للواحدي. ص132.

(3) سورة الكهف.83.

(4) سورة الإسراء 85.

(5) سورة الأ'راف 187.

وعلى كل حال فإن عدد مرويات أسباب النزول قليل جداً بالنسبة لعدد آيات القرآن المجيد، فقد أورد الواحدي في كتابه (472) حادثة نزول، وإذا قيس هذا بعدد آيات القرآن التي بلغت (6236) آية؛ سيبلغ ذلك ما نسبته 7.5 ٪. من مجموع أيات القرآن المجيد.

أما السيوطي فقد جمع -وهو المستكثر - 888 آية فبلغت نسبتها 14٪. [1]. بهذا يتوكد لنا رجحان ما ذكرناه من قلة عديد الآيات ذوات الأسباب. مع ملاحظة أن كثيراً من تلك المرويات المعدودة، هي ضعيفة السند؛ فلا ترقى لمرتبة القبول، ولو أنها مُحّصت وخضعت لضوابط التصحيح والتضعيف الحديثي، لتساقط منها الكثير.

برغم هذا نجد بعض من أصابه قدر من الجهل يصر على ادعاء أن كل آيات القرآن قد التبست بسبب نزول خاص بها، هذا ما يقرره (محمد سعيد عشماوي) بقوله ((كل آيات القرآن نزلت على الأسباب...سواء تضمنت حكماً شرعياً، أم قاعدة أصولية، أم نظماً أخلاقية)).[2]

ونحو هذا الادعاء وجدناه عند (نصر حامد أبي زيد) القائل ((إن الحقائق الإمبريقية المعطاة عن النص تؤكد أنه نزل منجماً...وتؤكد أن كل آية، أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص، استوجب إنزالها. وأن الآيات التي نزلت ابتداء –أي بدون علة خارجية- قليلة جداً)). [3]

ونلحظ انضمام هذه الدعوى – أي كَوْن كل أو اكثر آيات القرآن ذوات أسباب- إلى دعوى واهية أخرى عند من ادعى الأولى من أولي التوجه العلماني ونقد الفكر الديني، مثل نصر حامد أبي زيد، ومحمد سعيد عشماوي، وحسين

---

(1) انظر الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن. ص253-254

(2) جوهر الإسلام ص 197

(3) مفهوم النص. نصر أبو زيد. ص97

أحمد أمين.حيث ادعوا أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، وهذا قول طارف جديد لم تشهد له كتب العلماء القدماء مثيلاً ذا بال، ولا حجة تستحق تُقال. إنما جرى تواضع علماء الشريعة تفسيراً وفقها وأصولاً على إقرار أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. في ذلك يقول الغزّالي ((ورود العام على سبب خاص لا يسقط دعوى العموم....والحجة على بقاء العموم، أن الحجة في لفظ الشارع، لا في السؤال والسبب)).[1]

وفي هذا قال ابن تيمية ((والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب خاص، هل يختص بسببه؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص؛ فتعم ما يشبهه،ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ، والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته)). [2] وهذا مسلك قانوني معروف، وعرف اشتراعي مألوف، لم يتخلف في الشرائع السماوية، والتشريعات الأرضية جميعاً أعني أن يصدر حكم متعلق بحادثة خاصة، ثم يصير عاماً شاملاً لكل ما يماثلها.

وقد انتبه ابن القيم لهذا فقال ((إن حمل عمومات القرآن على الخصوص تعطيل لدلالتها وإخراج لها عما قصد بها وهضم لمعناها وإزالة لفائدتها))[3]

ويترجح لدي أن إصرار بعض الباحثين الحُدثاء على رد قاعدة (العبرة بعموم اللفظ) هو منطلق لتسويغ التحلل والتخلص من كثير من أحكام الشريعة

---

(1) المستصفى. 3/ 264. وانظر هذا المعنى عند ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام 3/ 330-331

(2) مقدمة في أصول التفسير. ص37 وما تلاها.ولمزيد التوسع في هذا الموضوع ينظر: أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص. عماد الدين رشيد ص392 وما تلاها.وكتاب الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن. أحمد محمد الفاضل ص 267 وما تلاها.

(3) الصواعق المرسلة 2\697وما تلاها نسخة عن موقع روح الإسلام

التي يرونها غير مناسبة للعصر الحديث، ويرون التمسك بها ضرب من التخلف الذي يقاومونه بطريقتهم ، وضرب للتجديد الذي ي طلبونه بطريقتهم.

وليس من وكدي هنا أن أبسط الكلام في الرد عليهم فالمقام مجاله غير هذا الكلام.[1]

5 -أقوال التابعين:

عرف كثير من التابعين بقيامهم واهتمامهم بتفسير كثير من القرآن. أشهرهم مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم.

وتعد كتب الصحاح والسنن، المصدر الساس لما اثر عن التابعين من تفسيرات وتوضيحات لآيات القرآن المجيد. من ذلك ما نجده في الجامع الصحيح للبخاري حيث افرد ما سماه كتاب التفسير، وضمنه كثيراً من المرويات الحاملة لتفاسير تابعية، استغرقت خمساً وثمانين صفحة، رتب فيها ما صح لديه من روايات بحسب ترتيب سور المصحف من الفاتحة، حتى الناس.[2]

لكن لم تكن منتجاتهم التفسيرية، إلا من باب ما أسميه بالتفسير الجزئي، حيث لم يصلنا تفسير كامل لأي منهم برغم وجود روايات تنسب لبعضهم كابن جبير- مثلاً- أنه فسر القرآن كاملاً. لكن أيدينا لم تنله، وأبصارنا لم تصله حتى

---

(1) للاطلاع على هذا الرأي الشاذ انظر ما كتبه نصر حامد أبو زيد في كتابه (مفهوم النص) ص104 وما تلاها.ومحمد سعيد العشماوي في كتاب (معالم الإسلام) 64. ، ص175 وكتابه (الإسلام السياسي. ص51) وحسين أحمد أمين. في كتاب دليل المسلم الحزين...ص 131 -132. وكذلك طيب تيزيني في كتابه (النص القرآني) ص213-214. ومن خير الردود على هذا كله ما كتبه محمد عمارة في كتابه (سقوط الغلو العلماني). وما كتبه أحمد محمد الفاضل في كتابه الاتجاه العلماني المعاصر.

(2) الجامع الصحيح للبخاري. دار ابنالجوزي. القاهرة.ص527 إلى ص612 وما تلاها.

الآن.وكذا الأمر مع عدد من التفاسير المنسوبة إلى أعلام التابعين وتابعيهم، التي كان أشهرها:

- تفسير عبد الله بن نافع، المتوفى سنة 186هـ
- التفسير المنسوب إلى الحسن البصري المتوفى سنة110هـ
- تفسير عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، المتوفى سنة182هـ
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، المتوفى سنة 211هـ

ومن أول وأهم مثالات التفسير الجزئي ما وصلنا من تفسير الإمام مالك بن أنس، و تفسير سفيان الثوري.وكان من أهمها تفسير يحيى ابن سلام المتوفى سنة(200هـ)[1]وقد سبق الطبري بنحو مئة عام.

ظلت نسخة تفسير يحيى بن سلام، متداولة على نطاق ضيق، حتى عصرنا، فظهرت في مخطوط موزع بين تونس، والقيروان، فتولت الباحثة (هند شلبي) تحقيقه [(2)]. وقد قال أبو عمرو الداني عنه ((ليس لأحد من المتقدمين مثله)) [(3)]. ثم تلاه –في المغرب الإسلامي– ظهور تفسير (بَقيّ بن مَخْلَد)

---

(1) يحيى بن سلام (124 – 200 هـ = 742 – 815 م) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي: مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من «التابعين» وروى عنهم. ولد بالكوفة، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونسب إليها. ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها.
وحج في آخر عمره، فتوفي في عودته من الحج، بمصر. لابنه «محمد بن يحيى» زيادات عليه، أفردت بإسناد عنه. وله «اختيارات في الفقه» ذكرها صاحب معالم الإيمان، و «الجامع» ذكره ابن الجزري. انظر الأعلام للزركلي.

(2) صدرت في جزأين.في طبعة أولى عن دارالكتب العلمية. ببيروت سنة 2004م
طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي.تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة.القاهرة.ط2– 1994م2/ 371. وله ترجمة في طبقات القراء لابن الجزري.

(3) نفسه 2/ 371

المتوفى سنة276هـ[1] الذي قال فيه الداوودي في طبات المفسرين: ((ليس لأحد مثل مسنده، ولا تفسيره)) [2] كما نقل الداوودي عن ابن حزم قوله ((أقطع أنه لم يؤلَف في الإسلام مثل تفسيره))[3]. لكن ظل تفسير بقي مغيباً مفقوداً وقد قيل إنه عثر على نسخة منه في بلدة قونية بتركيا سنة 2014. ولا ندري ما حصل بعدها.

والملاحظ أن تفسير ابن سلام برغم أسبقيته لا تجد عنه نقولا ولا عليه اعتماداً في كتب التفسير المسندة؛ كتفسير الطبري (ت: 310)، وابن أبي حاتم (ت: 327)، وغيرهما، ولم يُفِد منه السيوطي (ت: 911) في الدر المنثور. وقد اختصره مع بعض الزيادات أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين، شيخ قرطبة (ت: 399. واعتمد عليه هود بن محكِّم الإباضي في تفسيره. ولم يذكر ذلك.[4]

5. نظرة تدقيقية في الموارد:

هنا أود الوقوف لأقول بأن هاته الموارد باستثناء الثاني منها - أي الحديث- غير مجدية حال الاقتصار عليها والانغلاق عما سواها. قد يثير قولي هذا بعض القارئين؛ لذلك سأشرح الآن مقصدي دفعاً لسوء فهم محتمل:

فيما يتعلق بتفسير القرآن بالقرآن، أقول: إن الاعتماد على الآيات القرآنية في تفسير أخواتها؛ جاء بناء على تشابهات و تماثلات في ألفاظ بعض الكلمات والتعابير التي تكرر ورودها في النص المجيد؛ فجاءت في موضع ما من

---

(1) بشأن هذين التفسيرين انظر للتوسع:جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز. حسن الطوير.دار قتيبة دمشق. ط1- 2001م. ص36 وما تلاها.

(2) طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي. 1/ 117.

(3) نفسه1/ 117.

(4) انظر ملاحظات مساعد الطيار. في ملتقى أهل التفسير. نشرها بتاريه 2005-5-3.

غير بيان كاشف ، أو وصف ضابط. ثم جاءت في غيره مشفوعة ببيان موضح أو وصف معين.

لكن الذي غفل عنه الكثيرون أن تكرر التعبير أو الوصف في غير مكان لا يقتضي أنه هو نفسه في المكانين أو أكثر. مثلا وصف الضالين في الفاتحة لو جاء في غيرها مقروناً بمن وصفوا به فيها –أي اليهود – فهذا لا يقتضي أنهم هم أنفسهم المقصودون في الفاتحة؛ لصلاحية وجواز إطلاق الوصف المعين على أكثر من موصوف تغايرت ذواتهم [1].

من هنا فتفسير القرآن بالقرآن يجب اعتماده من باب الاستئناس فحسب،لا من باب التفسير القاطع.وقد أحسن مصطفى أبو هندي الفهم حين قال ((إن الربط بين نصين قرآنيين عملية اجتهادية، قابلة للصواب، والخطأ كذلك))[2] لأنه ربط بشري، لا يمكنه بحال الوصول لدرجة العصمة، برغم تعلقه بنص معصوم.لذلك فهذا النوع من التفسير يكون معيناً ومؤنساً في فهم كثير من الآيات، لكن لا يجوز القطع فيه، لأنه عملية اجتهادية يتم فيها ربط اية بأخرى ربطاً اجتهادياً من غير بلوغ درجة القطع واليقين في أن مراد الله تعالى قد وافق اجتهاد المفسر الذي قام بعملية الربط تلك.

تفسير القرآن بالحديث:

أما تفسير القرآن بالحديث النبوي، فأراه أولى، وأجدى، وأقوم ما يمكن الاعتماد عليه، حيث إن توضيحات وبيانات النبي عليه السلام هي الأرجح والأقوى من كل ما عداها ما دامت صحيحة النسبة إليه.

---

(1) مثلا إن قلت: سعد رجل صالح. ثم قلت بعد حين: رأيت رجلاً صالحاً. فهذا لا يقتضي أنك تقصد سعداً الذي ذكرته في الجملة الأولى.

(2) التأثير المسيحي في تفسير القرآن. مصطفى أبو هندي.ص127

أسباب النزول:

هي من الموارد المعتمد عليها في التفسير ودرك معاني الآيات [1]، حيث يتعين في بعض الآيات درك سبب النزول لفهمها، وإلا بقيت مستغلقة عن الوضوح، عصية عن البيان. والواقع أن هذا الحال غير صالح للتعميم؛ لانحصاره في آيات معدودة، من هنا نرى أن الاعتماد على مورد أسباب النزول، يكتنف ثلاثة معايب تغض من جدواها.

تلك المعايب الملابسة لمرويات أسباب النزول هي التالية:

1- ضعف أسانيد الكثير منها، على نحو غير مطمئن.

2- قلة عددها مقارنة بعدد آيات القرآن.فهي لا تعدو نحو 7 5%.، حسب الواحدي، و14٪ حسب ما جمعه السيوطي. مقارنة بمجموع آيات القرآن المجيد.

2- إن العبرة في القرآن ونصوصه هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهاته قاعدة مركزية، من شأنها قصف الوهم القائم على تصور أسباب النزول موردا أساسياً للتفسير.

لكن هذا لا يقتضي أنها-أي أسباب النزول- لا تضيء جوانب بعض الآيات التي يتعين فيها مذكور ما أو يُشار فيها إلى شخص معين مثلا: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾(سورة النور11).و﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾(الأحقاف 10).و﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾(سورة عبس 1).و ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾(المسد 1).

---

(1) أشهر كتابين فيها. ماكتبه الواحدي وما كتبه السيوطي الذي كتب أيضا الحديث كتابه (أسباب ورود الحديث) ط المكتبة العلمية. بيروت. ط1-1984-تحقيق: يحيى إسماعيل

ليس يخفى أن تحجير دلالات العمومات القرآنية أمر من شأنه تضييع كثير من المعاني القرآنية، وقد انتبه ابن القيم لهذا فقال ((إن حمل عمومات القرآن على الخصوص تعطيل لدلالتها وإخراج لها عما قصد بها وهضم لمعناها وإزالة لفائدتها))[1] ومن المثالات التي ذكرها قول بعضهم إن علياً -عليه السلام - هو وحده المراد بقوله تعالى ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾(المائدة 55). وقول آخرين إن عمربن الخطاب-عليه السلام- وحده هو المرادبالآية ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار**﴾(سورة محمد) وأن أبابكر-عليه السلام- هو المراد بقوله ﴿**رحماء بينهم**﴾(سورة محمد) .

4- من شأن أسباب النزول والارتباط بها أن تحجر، أو تحرج تدبر وتفكر المفسر في المعاني الواسعة التي تحويها أكثر الآيات؛ حيث سيستقر جولان فكره في إطار تلك الحادثة أو الموقف المذكور في أسباب النزول، بعيداً عن التوسعات الدلالية والفهمية التي تتيحها اللغة والسياق في الآية موضوع التفسير.

---

(1) الصواعق المرسلة 2\697وما تلاها نسخة عن موقع روح الإسلام.

- أقوال الصحابة:

تميز وتشرف كثير من الصحابة برفقتهم للنبي [1] وهذا ما مكنهم من إدراك كثير من التفاصيل التي غابت عن غيرهم. وبرغم ذلك فآراؤهم الشخصية،واجتهاداتهم الذاتية هي مجرد اجتهادات بشرية، يعتريها الصواب بقدر ما يعتورها الخطأ، إلا إذا أنمى الصحابي قوله، ونسبه في صحةٍ للنبي، فذلك شأن آخر. وليس لنا أن نقبل مذهب من أسبغ قدسية غير معلنة على أقوال الصحابة، وجعلها في مقام الحجج النصية، رأسا برأس مع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.ونظر إليهم نظرة المعصومين. فليس يصح ادعاء العصمة لغير الأنبياء.

أقوال التابعين:

أشار القرطبي إلى أن مهمة التفسير ليست محصورة في زمن ما، أو طبقة محددة، بل هي متاحة لكل العلماء، فقال إن الله جعل للنبي بيان ما جاء مجملاً،...ثم((جعل إلى العلماء...استنباط ما نبه على معانيه وأشار على أصوله ليتوصلوا باجتهاد فيه إلى علم المراد)) [2].

إن من الغلوّ والجهالة أن نعد أقوال التابعين حجة؛ فلا نجاوزها خاضعين لما فهموه هم نيابة عنَّا، وأن نكتفي بالاجترار والتكرار، رادين ما تفضل الله به علينا من نعمة العقل والفهم، وكان فضل الله نعالى قد انحصر في القرون الأولى،واقتصر على أهلها دون من بعدهم. وهذا ما أنكره بعض العلماء

---

(1) لم أقل كل الصحابة لأن كثيراً منم لم يرافق النبي بل أعلن إسلامه وعاد إلى موطنه وقبيلته بعيدا عن النبي عليه السلام ومنهم من كان حدثاً لا يرافق الكبار ، ومنم من مات قريباً من إسلامه. لذلك لا يصح تصور أن الصحابة كلهم كانوا رفاقاً للنبي صلوات الله عليه.

(2) انظر مقدمة القرطبي في تفسيره 1\2

صراحة، فقد قال شعبة بن الحجاج في سؤال استنكاري ((أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟)) [1].

وهذا إدراك منه لانعدام العصمة عن ذواتهم، وهي حقيقة يتعامى عنها الكثيرون اليوم في سياق تقديسهم للأسلاف وللقديم، من غير تبصر ولا انتباه لما هم عليه من خطر منهجي غير مشروع، غير مميزين بين صواب الاهتداء والاستعانة بالقديم، وبين غلط تقليده والعبودية له.

"توجهات التفسير"

توجهت العملية التفسيرية للنص المجيد توجهاً منوعاً من حيث تركيز الاهتمام التفسيري، لكون القرآن المجيد حاوياً لأكثر من غرض وسط بنيته النصية، ففيه القصص، وفيه العقائد، وفيه الأمثال، وفيه الأحكام التكليفية؛ هذا التنوع الموضوعي استتبع واستوجب أن يكون للتفسير القرآني أكثر من توجه، في سياق إجراء العملية التفسيرية القاصدة فهمَ واستيضاحَ المعاني والدلالات الكامنة وسط القرآن المجيد وبين سوره، وآياته، و تركيباته وكلماته. فظهر لأجل ذلكم كل من التوجهات التالية :

1_ تفسير غريب القرآن:

الذي يهتم أساساً وفرعاً بالإبانة عن الدلالات المعجمية اللغوية للألفاظ المُغربة معنوياً، وقليلة التداول. وقد اشتهر أن أول من صنف فيه كتاباً هو أبو سعيد أبان بن تغلب المتوفى سنة 141هـ.، وقيل بل هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، المتوفى سنة210هـ.

ومن القمين بالذكر أن عدداً من كتب الغريب قد كتبت بغير العربية، وذلك ضمن مصنفات علماء بلاد الهند وباكستان، وفارس. ومن أشهر ذلكم:

---

(1) مقدمة في أصول التفسير – ابن تيمية ص98

كتاب جامع المفردات. أو تفسير الآيات البينات. للشيخ نجيب باشا. وهو مخطوط كتب بالعربية والفارسية.وكتاب: عمدة لغات القرآن، للشيخ فاضل أجل مولوي. كتبه بالأردية، ونشر سنة1929م. وكتاب: غريب القرآن في لغات القرآن، لأبي الفضل بن فياض، كتبه باللغة الأوردية. وكتاب: قاموس القرآن، لزين الدين سجاد ميرثهي. باللغة الأوردية.

ومن أشهر ما كتب في هذا:(مفردات غريب القرآن) لأبي القاسم الأصفهاني المتوفى عام "502" هـ، و(تذكرة الأريب في تفسير الغريب) لابن الجوزي، وتفسير غريب القرآن، لمحمد ابن الأمير الصنعاني[1].

2 _ **تفسير مشكل القرآن:**

أغلب من تناوله استعمل هنا بدل كلمة تفسير، كلمة تأويل، عند إضافتها إلى كلمة مشكَل. هو نوع من التفسير يركز على فك الالتباسات الدلالية والمعنوية، والشواذ النحوية، وما ظاهره التعارض من آيات القرآن المجيد. من أشهر كتب هذا النوع(تأويل مشكل القرآن)لابن قتيبة.

3 _ **تفسير أحكام القرآن:**

هذا الضرب من التفسير يحصر اهتمامه في آيات الأحكام التشريعية التكليفية دون غيرها من آي الذكر الحكيم ذات الأغراض غير التشريعية. وقد كتب في هذا كثيرون كان من أهمهم: محمد بن إدريس الشافعي، وابن العربي، والجصّاص، وصديق حسن خان.

---

(1) من أوفى ما سُرد وذكر من عنوانات كتب الغريب ،ما سرده محمد صبحي حلاق في مقدمة تحقيقه لكتاب (تفسير غربب القرآن)لمحمد بن الأمير الصنعاني.دار ابن كثير –دمشق وبيروت. ط1. 2000م ، وقد استغرق سرد العنوانات الصفحات من ص8 إلى ص29.

4 -**التفسير البياني:**

وهو نوع لا يحصر اهتمامه في الدلالات المعجمية للألفاظ إنما يتعداها لتوضيح المستوى البياني والبلاغي، الذي تنضمُّ عليه كلمات وتعابير النص المقدس. وقد كانت عائشة عبد الرحمان(بنت الشاطئ)، وفاضل السامرائي، من أهم وأشهر من كتب في هذا النوع.

5 - **التفسير المقاصدي:**

هذا الضرب من التفسير هو الذي يركز على استبانة -ثم تبيين- عمومات المقاصد القرآنية، وشوامل الغايات المودعة في السور القرآنية بعامة.

يقول الدكتور وصفي أبو زيد في بيان أهمية هذا التوجه التفسيري، وعلاقته بسائر أنواع التفسير ((أما علاقة التفسير المقاصدي بأنواع التفسير ومنزلته منها، فإن أي نوع من أنواع التفسير لا غنى له عن مقاصد القرآن، فالتفسير المقاصدي إضافة إلى أنه نوع من أنواع التفسير، فإنه متغلغل في أنواع التفسير جميعا، وكل أنواع التفسير لا غنى لها عنه، بينما هو يستغنى عن أنواع من التفسير، وهذا يبرز أهمية التفسيرالمقاصدي)).[1]

6 - **التفسير العلمي:**

وهو القائم على إبانة التوافقات الحاصلة بين الكشوفات العلمية الحديثة، وبين ما يوافقها من آيات قرآنية دلت على فحوى هاته الكشوفات العلمية. وهذا من أوسع أبواب الإعجاز القرآني في سياق التناول المعاصر لإعجاز القرآن.

---

(1) نحو تفسير مقاصدي. وصفي أبو زيد.ص 5

7 - **التفسير الموضوعي.**[1]

إن من مظاهر التجديد التفسيري الظهورالناهد لما صار يعرف باسم(التفسير الموضوعي)، وهو ((الانطلاق من الموضوع الواحد لدراسة الآيات المتعلقة به... يتتبع المفسر الكلمة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية وبعد جمع الآيات- ولا حاجة بتفسيرها- يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها))[2]. وليس المراد تتبع كلمات بأعيانها على نحو البحث المعجمي إنما المراد تتبع المواضيع التي ترتبط بتلك الكلمات.وهو ضرب من التفسير يقوم على انتهاج التجزئة والتدقيق، في استغوار القرآن عن طريق نظرة تستهدف مواضيع بأعيانها، أو كلمات بأفرادها، نظراً وتفكراً.وتدبراً.

ولعل رائد التنظير والتأطير لهذا النوع في عصرنا هو الشيخ أمين الخولي، في كتابه (مناهج تجديد في النحو واللغة،والتفسير،والأدب)، حيث قال: إن القرآن قد ((عرض لكثير منالموضوعات ولم يجمع منها واحداً بعينه..وإنما نثر ذلك كله نثراً وفرقره، فيبدوا للناظر أن تفسيره سوراً وأجزاءً؛ لايمكّن من الفهم الدقيق، والإدراك الصحيح لمعانيه. إلا إن وقف المفسر عند الموضوع يستكمله في القرآن4، فيرد أوله إلى آخره، ويَفهم لاحقه بسابقه)).[3]

---

(1) في خبر ورد اللجنة الاستشارية لمشروع "موسوعة التفسير الموضوعي" في #مركز_تفسير تضع اللمسات الأخيرة لإصدار الموسوعة في ٣٦ مجلدا اشتملت على ٣٥٤ موضوعا قرآنيا .وستصدر في تطبيق إلكتروني ومنصة تفاعلية لتكون من أكبر مشروعات خدمة تفسير القرآن المعاصرة.

(2) [تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي) د. فريدة زمرد ، ملامح هذا المنهج في كتابها (مقدمة في المنهج) دراسة بمجلة الإحياء العدد 27/ 2008.ص89 وبعدها

(3) (مناهج تجديد في النحو واللغة،والتفسير،والأدب) أمين الخولي.ص304

ومثل بكلام القرآن أول سورة البقرة عن المؤمنين، وارتباط ذلك بما ورد من آيات في سورة (المؤمنون). وقال: ((إن الذي يفهم جملة نصوص خاصة بموضوع واحد، إنما يصل إلى صحيح معناها ودقيقه بمعرفة سابقها ولاحقها، إذا تباعد الزمن بينها كتباعده بين آي القرآن)). [1]

(1) نفسه ص305. وينظر: أدبية النص القرآني:بحث في نظرية التفسير. عمر حسن القيان. المعهد العالي للفكر الإسلامي. أميركا. بيروت.ط1. 2011م.ص

المبحث الثالث

تجميد، و تجديد

تجديد التفسير

لايـزال القـرآن المجيـد متنازَعـاً بـين اتجـاهين: تجميـدي، وتجديـدي. مـن غـير أن يحتـوي كـل منهمـا علـى صـفات ومقتضـيات الخطـأ كاملـة، ولا علـى عناصـر الصـواب كاملـة، بـل احتـوى كـل توجـه منهمـا علـى عناصـر نافعـة، إزاء أخـرى ضـارة، ليسـت في صـالح كتـاب الله العزيـز، ولايعـني هـذا تسـاوي قيمـة وجـدوى وفاعليـة الاتجـاهين، بـل يجـب أن نوكِّـد أن التوجـه التجميـدي قـد أحـاق بعـالم القـرآن؛ فضـيق رحابـه، وأحـرج براحـه؛ فحجَّمـه تقليصـاً؛ إلى درجـة أضـاعت كـثيراً من كنوزه.

في مقابـل ذلـك جـرت محـاولات حديثـة تجديديـة؛ لمقاربـة ونقـد وتقيـيم علـم التفسير القرآني، وجاءت تلك المحاولات على مستويين:

1- المسـتوى المنهجـي . مـن صـور ذلـك اسـتحداث توجهـات جديـدة وابواب محدثـة لمقاربـة واسـتغوار الـنص الشـريف، كاسـتحداث مـا صـار يسـمى التفسـير المقاصـدي، والتفسـير السُّـنني. ووضـع مبـادئ وضـوابط وخطـوات نظريـة تكشـف خصـائص وإجـراءات هـذه التوجهـات، علـى المستوى النظري المنهجي.

2 - المستوى التطبيقـي: تشـكّل في إنجـاز عـدد مـن التفاسـير القرآنيـة ، سـائرة علـى سـبيل الاجتهـاد، والتجديـد المؤسـس علـى التـدبر والتفكـر في آيات الله تعالى، وعدم الاكتفاء بما قيل من سالف علمائنا.

أولاً –المستوى المنهجي:

هـذا المسـتوى انضـمَّ علـى عـدد مـن الدراسـات والاجتهـادات المركـزة علـى نقـد، وتقيـيم، وتقـويم المنـاهج التقليديـة المعتمـدة في اسـتحلاب المقاصـد الإلهية، وامتياح مكنونات النص المجيد.

وقـد ظهـرت أغلـب دراسـات هـذا المسـتوى في هيئـات غـير متينـة بـل هـي إلى الـوهن أقـرب؛ لافتقادهـا الأسـسَ الرصـينة، والقواعـد الركينـة، الواجـب إقامتهـا قبل إنشـاء أي دراسـة في هـذا المجـال. ومرجـع هـذا الحـال-في تقـديري- هـو أن أكثـر أصـحاب هـذا النقـد ليسـوا بمـؤهلين علـى نحـو علمـي تخصصـي رصـين، للخـوض في سـاحة العلـوم الدينيـة بعامـة، وعلـوم القـرآن بخاصـة. فقـد وجـد بيـنهم متخصصـون في الكيميـاء، ومـنهم في الفيزيـاء، ومـنهم في الهندسـة، والطـب، ومـنهم متطفـل علـى السـاحة بـلا خلفيـة علميـة أصـلاً. فضـلاً عـن قلـة تخصصـوا في الدراسات الإسلامية.

كـل ذلـك هـذا لاينفـي وجـود أعمـال جـادة في هـذا المسـتوى المنهجـي للمقاربـة القرآنيـة. ولعـل مـن أميَـزِ الأعمـال ذلـك الجهـد الـذي بذلـه ولايـزال الباحـث المغربـي (مصـطفى أبـو هنـدي) خـلال كتابتـه في موضـوع (العقائـد الإسـرائيلية و أثرهـا في توجيـه التفسـير) ثـم عملـه المسلسـل تحـت عنـوان (نحـن و القرآن) الضامّ لأربعة كتب هي:

1- مقدمات في أصول التدبر.

2- تفسيرات مسيحية.

3- أحاديث مسيحية.

4 – قضاء وقدر.

جـاءت هـذه الكتـب في سـياقات جريئـة لايـزال كاتبهـا يحصـد تبعاتهـا الماثلـة في هجومـات وخصـومات، مـن طـرف عـدد مـن رافضـي النقـد للـتراث التفسـيري،

وقد وَصفتُ عمل الباحث بالتميز، برغم اختلافي مع عدد من أطروحاته التي أبداها في معرض مشروعه النقدي التقييمي.

ثانياً: المستوي التطبيقي:

أعني به القيام بعمل تفسيري مباشر للنص القرآني، كله أو بعضه، وقد عمل كثير من الدارسين والعلماء الحُدثاء المجددين على تقديم تفاسيرَ جديدةٍ، وفهوم طارفة، لكثير من نصوص القرآن علي نحو جزئي، حيث اجتنب، أو عجز أكثرهم اجتراح تفسير شامل للنص المجيد كله،[1] فاقتصرت التفاسير الكاملة على أتباع المناهج التقليدية، الذين لا يكادون يجاوزون ترديد ما قاله أسلافنا من المفسرين -رحمهم الله- من ذلك تفاسير: ابن سعدي، و الشنقيطي، والشعراوي، وسيد طنطاوي، وعائض القرني. ومحاولات جزئية لاجديد فيها، قائمة على الاختصار والتكرار، نائية عن الاجتهاد والابتكار. من ذلكم ما كتبه بعض الفضلاء منهم: عفيف طبارة، والصادق الغرياني، وغيرهم كثير-جزاهم الله خيراً-.

تجديد العملية التفسيرية

تحتاج العملية التفسيرية إلى قواعد داعمة، وضوابط هادية؛ تنظم سيرها، وتضبط نتاجها، وتكسبها فاعلية مثمرة؛ تقوي موقفها أمام دعوات التجميد والانغلاق من جهة، أو تنأى بها عن دعوات الانفلات من جهة أخرى.

لقد قامت دعوات الانغلاقيين على قاعدة الاتباع، في حين قامت دعوات الانفلاتيين على قاعدة الانقطاع، وذلك في سياق إجرائي ازورَّ عن الروح

---

(1) من هذا النوع: القرآن بين التفسير والتأويل والمنطق العقلي. أنور خلوف .دار حوران للنشر.و مقدمات في أصول التدبر. مصطفى أبو هندي. وهندسة القرآن .جمال البدري . و قراءة جديدة للقرآن. عطية عامر دارالمعارف سوسة. و كتاب إنذار من السماء. نيازي عز الدين عن دار الأهالي. و الكتاب والقرآن لمحمد شحرور. و الحقيقة لنيازي عز الدين.

العلمية المتبصرة، والمحرف عن الموضوعية، مقارفاً آثاراً مهلكة طالت المعاني القرآنية الشريفة؛ فحريٌ بالمنهج التجديدي في التفسير أن يتغيَّا القواعد والضوابط التالية

1-هجر الاتّباع الأعمى.
2- واجتناب الانقطاع.
3- تمحيض التدبر.
4- تنويع الأدوات.
5- توقيع القرآن.،

هذه الخمسة القواعد هي التي أراها كفيلة بتحقيق التجديد المثمر في العملية التفسيرية. وسأبسط الآن القول في كل منها:

1. هجر الاتّباع الأعمى:

إن اتباع آراء وتفاسير الأسلاف ليس مذموماً بإطلاق كما أنه ليس محموداً بإطلاق؛ إنما الذم والحمد، والنفع والضر يكمن كل منها في نوعية وإجرائية ذلك الاتباع، بمعنى أنه يكون ضاراً مذموماً حين يكون اتباعاً اجترارياً غير متبصر وغير مدقق قائم على محض التقليد المبني على تقديس غير مشروع لكل ما هو قديم.

بناء على هذا فالاتباع نوعان: اتباع متبصّر واعٍ، وآخر اتباع أعمى فاقد للوعي. ومقابل هذا الحال يكون الاتباع محموداً نافعاً حين يكون محوطاً بوعي علمي يدفع صاحبه إلى اتباع متبصر يقصد الاهتداء بتجارب الأسلاف، والاستئناس بمنتجات عقولهم بعيداً عن التبعية المفرطة، والعبودية المغرقة، والتقديسية المهلكة، التي هي في واقعها منهج عائل فائل، لا يليق بمسلم أن يقع في مزالقه. وحسبه ذماً أنه منهج انتهجه المشركون، وذمهم الله لأجله. حين قال على لسانهم ﴿قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾(لقمان 21) و﴿إنا وجدنا آباءنا

على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون﴾(الزخرف 22)،و﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾(المائدة 104).

هذا المنهج الكريه المعتِم استطاع أن يجد له من يتلقفه ويُعمله في ساحة التفسير القرآني، خلال طروح عدد من المشائخ الداعين إلى الاتّباع الأعمى والتقليد المصْمت، لما ورد عن أسلافنا - رحمهم الله- وادعاء أن الحق والصواب قد انحصر في زمنهم، وأن المين والخطأ حكرٌ على آراء المعاصرين، الذين إن قال أحدهم اجتهاداً خالف فيه القدماء؛ رموه بالبدعة والضلال، لمجرد قوله برأي فتح الله به عليه، دون أن يسبقه أحد إليه. ألا في البدعة سقطوا.

إن دعاة هذا المنهج الرجوعي المنغلق يتحملون المسؤولية المباشرة عن التأخر والاضطراب والفوضى التي حاقت بالعملية التفسيرية للقرآن المجيد؛ حيث جعلوا بإزاء القرآن المجيد نصاً إشراكياً آخر لا يقل - عملياً- في القدسية عن النص الأصلي المجيد، ذلك النص الإشراكي هو الذي اتُخذ رتاجاً لإيصاد المدخل أمام عقول وتدبرات المفسرين المتأخرين.

2. اجتناب الانقطاع:

هذه القاعدة الثانية للتجديد التفسيري، هي هادمة لوهم عشش في رؤوس كثيرين من أدعياء التجديد والتحديث والتنوير، مفاد ذاك الوهم أن التواصل مع التراث عائق في سبيل التجديد الديني، والفهم القرآني ، وأن الإبداع يقتضي بتر حبال التواصل مع ما أنتجه الأسلاف من علماء الأمة.

إن ذلك الوهم مسؤول بدوره عما حل بساحة التفسير القرآني من فوضى وانفلات أهرق علينا (تفاسير شحرورية) تثويرية، لئن حسنت منتهجاتها، فقد ساءت منتجاتها، ولئن ضاءت منطلقاتها، فلقد ضاعت مستهدفاتها.

3. تمحيض التدبر:

أعني بهذه القاعدة جعل التدبر والتأمل في القرآن محضاً خالصاً من شوائب التأثيرات المسبقة، من توجيهات مذهبية مغرضة، وتأثيرات عاطفية قوامها الهوى،وما تشتهيه الأنفس.فمتى برئ التدبر عن (الأيديولوجيا) والغرضية، وعن امتطاء القرآن، فهو زعيم بتحصيل فهوم ومعان أقرب إلى مراد الله تعالى ومقاصده التي أودعها في كلامه المقدس، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا من فوقه ولا من تحته.

هذا المعنى التمحيضي لم يغب عن بعض المفسرين فقرروه في تفاسيرهم من ذلك قول أحدهم: ((إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره...أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصويرية أو عقلية أو شعورية سابقة، وأن يبني قراراته كلها حسب ما يصور القرآن والحديث...ومن ثم لا يحاكم القرآن والحديث بغير القرآني، ولا ينفي شيئاً يثبته القرآن)) [1].

لعل هذا ما حاول بعض المعاصرين تطبيقه في تفسير القرآن من ذلك تفسير الشيخ عبد الكريم الخطيب الذي اعتمد فيه حسب قوله على عقله الحر. وكذا تفسير عبد العزيز الثعالبي المتوفى سنة 1944(روح التحرر في القرآن) وكذلك تفسير (أسرار القرآن)لعبد العزيز جاويش 1929.[2]

4. تنويع الأدوات:

إن عمق، ودقة، وتنوع، واتساع النص القرآني، هي أوصاف تقتضي أن يتسلح المفسر بعدد من الأدوات التي عليه إعمالها واستثمارها في استكناهه

---

(1) في ظلال القرآن – سيد قطب 6\3731. نقلا عن : الإنسان والقرآن وجها لوجه. حْميدة النيفر ص 66

(2) انظر في ذلك الإنسان والقرآن وجها لوجه – حْميدة النيفر ص 51 وما تلاها.

للـنص المقـدس. أهـم تلـك الأدوات –عنـدي –: العقـل، واللغـة، والعلـوم الطبيعية، وعلم الحديث، والتاريخ.

هـذه الأدوات يجـب علـى المفسـر أن يسـتجمعها ويحسـن اسـتعماله، في سـياق مقاربتـه التدبريـة للقـرآن. ولا يحسـن بـه الاكتفـاء ببعضـها دون الآخـر، أو أن يقصـي بعضها أثناء العملية التفسيرية؛ لأن هذا الإقصاء زعيم بزعزعة الفهم القرآني.

مـن ذلـك مـثلاً اسـتعمال المفسـر أداة العقـل، تاركـاً أداة اللغـة، عامـداً إلى فهـم عقلـي مجـرد للقـرآن. أو أن يجتـزئ أداة اللغـة وحـدها مبعـداً العقـل، والنقـل المـأثور عـن الـنبي، مـدعياً أن اللغـة وحـدها كفيلـة بإيصـالنا لسـاحة المعـاني الإلاهيـة، في نحو هذا قـال القـرطبي إن مـن ((بـادر الى اسـتنباط المعـاني بمجـرد فهـم العربيـة كثـر غلطه))[1].

إن تلـك السـاحة الشـريفة لا يمكـن ولوجهـا بقصـور، أو اجتـزاءٍ أدواتـيٍ، على النحو الذي وصفته قبل قليل.

توقيع القرآن:

أعـني بهـذا ربطـه بـالواقع الإنسـاني المعـيش، ببيـان دلالات الـنص علـى نحـو يصـلها بحيـاة الإنسـان العمليـة، ملامِسـةً همومـه ومشـاكله اليوميـة، في المسـتويات الاجتماعيـة والسياسـية والاقتصـادية، فضـلا عـن المسـتوى الروحـي، حيـث يـربط التفسـير ويوصـل بـالواقع ليكـون التفسـير القرآنـي أبلـغ أثـراً وأوسـع نفعـاً، وأكثـر واقعيةً.

لقـد غـاب عـن أكثـر التفاسـير التراثيـة، والمعاصـرة–باسـتثناء قليلـها– أن تعمـل علـى توقيـع القـرآن ووصـله بالحيـاة المباشـرة للإنسـان وبهمومـه الحياتيـة المتجـددة، حيـث نظـروا للقـرآن بوصـفه كتابـاً يجهـز النـاس للمـوت ومغـادرة الـدنيا،

---

(1) الجـامع |لأحكـام القـرآن – 1\34. وفي الاسـتعانة بالحـديث وأهميتـه أورد القـرطبي بسـنده قـول مكحول((القران احوج الى السنة من السنة الى القران)) انظر 1\39

واكتفت تلك التفاسير بربط القرآن بالجانب الروحي والعبادي للإنسان، وهو جانب نوكِّد أهميته، و عدم جواز إغفاله، لكن الاقتصار عليه دون غيره؛ فيه تعطيل للوظيفة الشاملة التي أراد الله للقرآن أن يحققها في عالم الناس.ولعل من أوضح من أفلح في توقيع القرآن، وربطه بالواقع الشيخ حسن البنا في تفسيره المسمى(نظرات في كتاب الله) [1] وقد ذكر في مقدمته أنه سيهتم بربط ((معانى القرآن الكريم بمظاهر الحياة الحديثة علمية، واجتماعية، وخلقية)) [2].

لقد كان من صور قصور تلك التفاسير –العازلة القرآنَ عن الواقع– أنها ركزت جهدها على رصف وتنضيد التراكيب البلاغية، والألفاظ اللغوية، والأحكام الفقهية، والنقول التراثية، فأوردتها في سياقات مجردة غير متآصرة بالحياة اليومية للعالم والإنسان فيه. ((ولاشك أن حاجات العصر لن تلبيها أقوال مأثورة لا يعلم أصحابها شيئاً عن هذا العصر وأهله وحاجاتهم))[3] كما أن من أمارات الغفلة وسوء فهم رسالة الإسلام تصور كونه دين أخروي، غير دنيوي. والذهول عن أن هاته الرسالة الخالدة إنما جاءت مستهدفة مجالين في وقت واحد هما: صلاح الدنيا، والدين. ولا جرم أن تفسير القرآن مجال رحب ونضّاح، ومنهل للامتياح، يجب اهتبال غزارة خيره، ووفرة كنوزه لاستثمارها في خدمة البشر في دنياهم، وعدم عزله عنها، ولا عنهم. فلأجلهم نزل.

النساء: مثنى، وثلاث ورباع...}[4](النساء3)، يتم التركيز على تفاصيل معنى كلمات: انكحوا، وثلاث، ورباع، ما ملكت أيمانكم. ولا يقع الاهتمام بتوضيح آثار التعدد في المجتمع، سواء الآثار النافعة، أو الضارة، باختلاف

---

(1) جمعه وحققه ونشره الشيخ عصام تليمة.2001م.

(2) نظرات في كتاب الله_حسن البنا.من المقدمة.نسخة إلكترونية.

(3) التأثير المسيحي في تفسير القرآن. مصطفى أبو هندي. ص26.

(4) سورة النساء. الآية 3.

المجتمعات، وكذا لا يحصل تعرض للمترتبات الاقتصادية والتربوية الناتجة عن التعدد، أو مترتبات ترك التعدد ومشاكل العنوسة في البنية الاجتماعية للمجتمع.

نعم هي مواضيع في علم الاجتماع والتربية لكن مُنَزِّل القرآن -تبارك وتعالى- يهمه تناول هاته المسائل وحل مشاكلها، انطلاقاً من القواعد القرآنية؛ حتى يتحقق التواصل المثمر والواقعي بين الإنسان، والقرآن، وهو ما سميته توقيع القرآن.

وحين يتعرض-المنفصلون عن الواقع- لآيات الربا [1] -مثلاً- يركزون على الدلالة اللغوية للربا، ووجه تشبيه تخبط آكل الربا بتخبط ممسوس الشيطان، ومدى إمكانية دخول الشياطين أجساد بني آدم، ثم يقرون تحريم مطلق الزيادة في استيفاء المقرض لقرضه، من غير ربط الآيات بالواقع الاقتصادي المعاصر، وموقع المسلمين فيه، في ظل تبدل وتطور الأنظمة الاقتصادية، وقوانينها، ومؤسساتها، وما نتج عن ذلك من تغيرات في أوصاف، ومصادر المنافع والمضار، والمصلحة والمفسدة اللتين هما مناط التحريم والتحليل في الإسلام وشريعته.

أما آيات القتال والجهاد فتهتم أكثر التفاسير بربطها بجهاد النبي عليه الصلاة و السلام في زمنه، ولا تتعرض للأوضاع الحربية المعاصرة، وتجددات مظاهر وصور الجهاد.وتبدلات الظروف الدولية وآثارها في عالم المسلمين، والدول المحتلة، وصلتهم العسكرية بدول العالم، والتكتلات السياسية.

إن تجديد العملية التفسيرية يقتضي التركيز على ذلك الربط المهم بين النص القرآني والحياة المعاصرة الواقعية. لا أقول هنا ما قاله بعض الباحثين بوجوب جعل النص تابعاً وخاضعاً للواقع، بأن نبدل ثوابته،ونغير أحكامه

---

(1) مثل قوله عز وجل: {يمحق الله الربا ويربي الصدقات} البقرة 276.{يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا} البقرة278.{لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة }آل عمران 130.

لأجل مسايرة الحياة العصرية ومستجدات العالم، فهذا نوع من الفلتان الذي نبرأ عن أن نقع في شراك حُبالته، أو نندحض في خفيّ مزالقه.

هذا قول لا أرتضيه. بل أقول إن النص القرآني هو الأصل والمرجع الأساس في حياة المسلمين، وأحكامه هي الحاكمة وهي الأضمن والأنفع مما يضعه الإنسان من قوانين مصادمة لها.

لكن هذا كله لا يعفينا من تفعيل هذا النص، ومن ربطه بحياتنا العملية، وأن نبث فيه حيويتة التي طمستها كثيرات من التفاسير الفاقدة للوعي، بل صار بعضها مفْقِداً لوعي الناس، وهذه مرحلة أشر، وأضرّ، وأمرّ .

يجب أن ندرك بدقة حجم الأهمية التي ينطوي عليها تجديد الفهوم التفسيرية، حيث إن ذلك أمر يقتضي تحويراً، وتطويراً، وتجديداً في المنظومة التدينية على نحو عام، يطال الفقه، والشريعة، والعقيدة. وهذا مآل طبعي متوقع؛ حيث إن عقائدوعبادات المسلمين المشترعة هي مبنية على أساس فهمِ دلالات ومطاليب النص القرآني، قبل وفوق كل شيء، ثم على الحديث النبوي، في مرحلة ثانية وتالية.وحين يصل مفسر معاصر -بنحو منهجي علمي- إلى معاني جديدة، وفهوم طارفة، ومخالفة لما سبق أن قاله السابقون، فهذا أمر ينبني عليه وجوب تبني واتباع مقتضيات تلك الفهوم، وتلك المعاني.

التفاسير الاستنساخية:

لا يعدو عمل كثيرٍ من المفسرين القدماء والمعاصرين أن يكون استمراراً لوظيفة الوراقين العاملين في استنساخ الكتب. ولعل الفرق الرائس بين الطرفين، هو أن أولئك يكتبون أسماءهم على الأغلفة وينسبونها لأنفسهم، أما النسّاخ فينسبونها لكتابها الأصليين.

إن التفاسير الاستنساخية لا تجاوز أن تكون (نقلاً بتصرف) عن تفاسير سالفة، وذلك وضع فاشٍ وسط كل الفرق الإسلامية المعروفة، سواء فرقة أهل السنة، أو فرقة الشيعة، أو فرقة الإباضية.

من أشهر ما كتب في هذا النوع:

1- فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان.

2- بيان السعادة ومقامات العبادة، لسلطان أحمد البيرختي.

3- هميان الزاد إلى دار المعاد، امحمد بن يوسف اطفيش.

4- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. لعبد الرحمان آل سعدي .

5- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . للشنقيطي.

5- الميزان . لمحمد حسين الطباطبائي.

6- تفسير هود الإباضي.

لقد جاءت أكثر الأعمال التفسيرية الحديثة مستنسخة تحت تأثير كل من: المنهج التراثي، والطرح التراثي. فهي أعمال استنسخت المنهج والمحتوى، وما كان اجترارها للمحتوى إلا نتيجة عن التزامها بالقديم، واجتناب تجديده أو نقده، أو تطويره، فضلاً عن الخروج عنه.في تقديس - غير معلن- للقدماء وما صدر عنهم -رحمهم الله-.

ولا يغيب عنا أن هذا مضاد لما أمر الله به عباده من تدبر، وتفكر في القرآن. كما أن فيه موافقة وتساوقاً مع منهج من قالوا﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة...﴾

ومن مثالات هذا النزوع الرجوعي، ما ذهب إليه الشيخ محمد حسين الذهبي[1] من أن عمل المفسرين الأولين ((لم يترك لمن جاء بعدهم من عمل جديد أو أثر مبتكر يقولون به في تفاسيرهم... إلا عملاً ضئيلا لا يعدو أن يكون جمعاً لأقوال المتقدمين، أو شرحاً لغامضها أونقداً وتفنيداً لما يعتوره الضعف منها أو ترجيحاً لرأي على رأي))[2]. وأصاب (حميدة النيفر) حين علق على هذا بقوله: و هذا ((ما جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود خالية من التجديد والابتكار))[3].

والواقع أن ما حدث هو التالي:

1 - ضعفت همم المتأخرين عن متابعة الجهود التفسيرية الأصيلة؛ فاكتفوا بالاستنساخ والنقل. ولاسيما أن أكثر علماء عصرنا من المتخصصين في التفسير هم أساتيذ جامعيون، شغلهم عملهم التدريسي وإغراءاته المادية، فعقم أكثرهم عن الإنتاج العلمي الرصين، واكتفوا بالكتب التدريسة للمقررات الجامعية، وأكثرهم استغرقتهم محاضراتهم الوظيفية، فمرت سنوات أعمارهم ولم يخط الواحد منهم أبيض على أسود.

2- أصيب كثير من المتأخرين بعقدة تقديس القديم؛ فصاروا يتوهمون أن العلم والصواب قد انحصرا فيما سطره الأسلاف؛ حتى إذا ما كتب أحدهم المعاصرين شيئاً حاذر أن يأتي بجديد. وكأن التجديد صار جريمة منكرة، والتحديث جريرة منفرة. كل هذا في غفلة عن أن

---

(1) هو من علماء مصر المعاصرين. وليس هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي صاحب ميزان الاعتدال في نقد الرجال المتوفى سنة748هـ.

(2) التفسير والمفسرون 2\495 .

(3) القرآن والإنسان وجهاً لوجه. النيفر ص22.

التجديد في الدين هو سنة من سنن الله تعالى، وأنه مقوٍ من مقويات الدين وعلومه. لذلك أعلن النبي عليه السلام، ذلك الحديث العظيم الذي ورد من رواية أبي هريرة مرفوعاً ﴿ **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها** ﴾ [1]

إن ذاك الحال الذي ذكره الشيخ الذهبي هو منْتَج أصيل من منتجات المنهج الانغلاقي التجميدي، الذي صار فيه المفسر مجرد راكب على أكتاف السلف، لا دور له غير النقل، ثم النقل، ثم النقل.

إنها منهجية رجوعية لم تنتج غير تفاسير مستنسخة، كشفت أن كثيراً ممن ظننّاهم -في صغرنا- مفسرين، لم يكونوا أكثر من وراقين نساخين. مع استثناءات معدودة نربأ بها عن مماثلة من اكتفوا باستنساخ ما كتبه الأسلاف، ثم تصديره للقراء حاملاً أسماءهم، إن عملهم سرقة غير معلنة، لكنها على كل حال مكشوفة، اجترحها من ارتضوا بقاء الأقفال على قلوبهم. ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾؟(سورة محمد 24).

ولست أريد أن يفهم أحد من كلامي أني أدعوا إلى قطيعة مع التراث التفسيري الذي خلفه السلف، بل أقول إن ذاك التراث التفسيري هو ثروة مهمة، وكنز ثمين، يجب التواصل معه، والامتياح من ينابيعه، والاستنارة به، لكن على نحو لا يقود إلى الجمود، وإلى كبت ما منَّ الله به علينا من نعمة الفهم، والعقل، والتدبر، والنظر. كما أريد ألا يكون قدوتنا أولئك الذين ﴿**قالوا حسبنا**

---

(1) حديث صحيح من رواية أبي هريرة مرفوعا. خرجه أبوداوود في سننه كتاب الملاحم. باب: ما يذكر في قرن المئة. رقم 4291، والمنذري في الترغيب والترهيب ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم 2941. واللفظ هنا لأبي داوود.

ما وجدنا عليه آباءنا ﴾(المائدة 104) بل قدوتنا قول من قال ((يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهّم سليمان فهمني)).

مما يُحزَن له له أن من بدأ عملياً – من المفسرين المعاصرين- في انتهاج منهج جديد للتفسير، جاء فاقداً للقوة العلمية المؤهلة، التي تقوم على متانة البنية التحتية للعملية التفسيرية، أعني متانة وقوة العلوم المعينة على فهم وإدراك لغة القرآن، وأساليبه العربية ، ومقاصده الاشتراعية. تلك العلوم المؤهلة أقصد بها علوم: النحو، والبلاغة، واللغة المعجمية، وعلم الحديث،والفقه والمقاصد،وعلم أصول الدين، وعلم أصول الفقه.

هذه الذخيرة المعرفية من العلوم لا يمكن الاستغناء عنها في طريق سبر أغوار القرآن المجيد، لكنها كانت غالية، وشاقة، ومنهكة، أمام أكثر من امتلكوا نوازع تجديدية، وحساً تطويرياً لمناهج مقاربة القرآن؛ فجاءت أعمالهم هينة القدر، واهية الأثر؛ ففارقها التحقيق، وزايلها التوفيق، واكتنفها الوهن. من ذلك مثلاً أعمال ومحاولات جزئية ومفرّقة كل من : مصطفى محمود، وصادق النيهوم، ومحمد شحرور، ونيازي عز الدين. وقد اسندوا كثيراً من فهومهم وطروحهم إلى التأويل، في إجرائية غير منضبطة بضوابطه، في سياقات تلفها الحماسة للتجديد، وتلفها مشاعر التبرم والملل من القديم، ومُخرجاته التفسيرية.

إن هذا الضرب من التأويل له مباعث، إما معرفية بريئة، وإما غرضية غير بريئة.ولست هنا ممن يجازف باتهام نوايا الناس ومقاصدهم، لذلك لا أقول إن وراء تلك التآويل المنحرفة مقاصد غرضية تتقصد الدين أو التراث، بل إن أمرها رهن لنوايا أصحابها التي لا يعلمها غير الله، وإياهم.

في هذا السياق ذكر ابن القيم أربعة أسباب، هي المسؤولة عن النزوع نحو هذا الضرب من التأويل: ((اثنان من المتكلم واثنان من السامع، فالسببان اللذان من المتكلم: إما نقصان بيانه، وإما سوء قصده. واللذان من السامع: إما

سوء فهمه، وإما سوء قصده. فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة انتفى التأويل الباطل وإذا وجدت، أو بعضُها وقع التأويل)) [1].

وليس بغاربٍ عنا ما يعانيه أكثر الحُدثاء من اضمحلال موهبة البيان، الذي هو من أسس الأداة اللغوية التعبيرية، حيث انصرف أكثر المشايخ، والباحثين، والناظرين في العلم إلى الاكتفاء بنتف من العلوم، وعينات من الكتب، بديلاً عن الاستغوار في اللغة ومباحثها، والبلاغة وجوانبها، والاستعماق في العلوم وتفاريعها؛ على نحو يؤهل صاحبه إلى أن يكون ذا بيان مبين، وكلام قويم؛ بحيث لا يُعجزه عن إظهار قصده، ضعفٌ في اللغة، ولا يحجزه عن إبانة مراده وهن في التعبير.

أما ما يتصل بسوء القصد، فليس في الإنصاف التسرع في اتهام النيات، وتجريم القلوب. وهذا لا يعني نفي وجود مقاصد سيئة، وأوطار مبيتة، وأفكار مغرضة، يبثها بعض الكاتبين، وينشرها بعض المفسرين، لا لوجه الله بل لوجه الفتنة، وتشويه الدين. لكن الموقف الذي أفضله هو الاكتفاء بتخطئة المخطئ، وتنبيه المنحرف عن الصواب، من غير اتهام نيته دون برهان قاطع، ثم توكيل الأمر لله فهو الذي يفصل بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

أما ما نراه في عصرنا من تسارع في اتهام المقاصد والنيات، وتطاول في التنابز واللجاج، وتسابق في تجريم القلوب، وتخوين الضمائر، فهو من باب سوء الأدب، ورقة الدين، ووهن العلم، ثم هو قفوٌ لما لاعلم لنا به. قال تعالى﴿ **ولا تقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾ .[2]

---

(1) ابن القيم (الفصل الحادي والعشرون: في الأسباب الجالبة للتأويل. ص -500.

(2) سورة الإسراء.الآية36.

من آفات النزوع التجديدي:

نظرية صمت القرآن

إن أهم وأشهر من تبناها وصرح بها كل من: محمد أركون، وعبد الكريم سروش. كذلك تبناها حسن حنفي.

قال سروش: ((القرآن بنفسه لا ينطق، فنحن الذين ننطق عنه، ونتحدث بلسانه)).[1] كما أن آركون قال -قبله- بكل ثقة: ((القرآن كتاب صامت)).[2] أما حسن حنفي فقد اجترأ على أن يقول ((النص قالب دون مضمون))[3].

إن هاته النظرية تنطوي على وجوه خطر محيقة بالقرآن في سياق فاعليته الاشتراعية، وصلته التوجيهية بالمكلفين.إنها نظرية تقول إن القرآن نص ليس يحمل معنى غير الذي يودعه المفسر والمؤول فيه.هذا القول يقتضي فراغ الرسالة الإلاهية من التشريع الإلاهي، ومن المعاني التي أرادها الله تعالى أن تصل للمكلفين.

إنها نظرية تقطع الطريق أمام مراد الله أنْ يصل إلى العالمين، و تعزل توجيهاته المودعة في القرآن أنْ تبلغ القارئين. إنها نظرية تتيح وتسوغ لكل أحد أن يقول ما يشاء باسم الله، إنها عملية محوٍ صفيقة للرسالة الإلاهية. تشبه أن يعطيك أحدٌ ما مجلداً من صفحات بيضاء فارغة، ويقول له هذا هو القرآن.وهذه هي رسالة الله.

تقتضي هذه النظرية أن يصير النص القرآني نصاً صامتاً، ليس لله تعالى فيه دور؛ حيث يناط الدور الأساس بالقارئ؛ ليُنطق القرآن بما شاء.

---

(1) بسط التجربة النبوية.ترجمة: أحمد القبانجي.دار الانتشار العربي.بيروت ط 1. 2009م ص321.

(2) لقاء شخصي بطرابلس.ليبيا.فندق كورنثيا.2006م.

(3) من العقيدة إلى الثورة. حسن حنفي (1/ 397-398).

إنه تصور خطير على القرآن، أن يقال عنه إنه نص صامت. بهذا الوصف والفهم، يتم تغييب الله تعالى نفسه، ويتم كبت وكتم معانيه التي أودعها القرآن، وفي هذه النظرية كذلك إلغاء لدوره تعالى، حيث يستحيل إلى مجرد رسول سلّم لنا القرآن؛ لننطق نحن، إنها كارثة في عالم الدين و القرآن ان يصير الإلاه رسولاً.

إن هذه النظرية تبدو لي عملية التفاف على النص القرآني، وهروباً –قد يكون واعياً أو غير واعٍ– من مواجهة تكليفاته، وتشريعاته، التي لم تستسغها عقولهم، ولم تتواءم معها نفوسهم؛ فقالوا إن القرآن يقول أشياء غير ما تبدوا منه، فتولوا مهمة الكلام والتشريع، ضمن عملية انقلاب مريع، وطرح فظيع، ونهج شنيع. كل ذلكم تحت مظلة التجديد ومساوقة الحداثة.

ولعل من صور تطبيق هاته النظرية –بنحو غير مباشر– ما نراه من تكلفات التأويل، والاعتساف في تحميل القرآن ما لا يحتمله من معانٍ ودلالات، فالمفسر والقارئ المتعسف هنا قائم بمهمة تفريغ القرآن من دلالاته ومعانيه، حين يجعل من ألفاظه وآياته مجرد أوعية فارغة؛ يصب فيها ما شاء مما رأى واستحسن، على وجه التأويل المتكلّف البعيد غير المحتمل.من هذا الباب صرح حسن حنفي في كلام خطير قائلاً ((لا يوجد نص إلا ويمكن تأويله، ولا يعني التأويل هنا بالضرورة إخراج النص من معنى حقيقي إلى معنى مجازي لقرينة، بل هو وضع مضمون معاصر للنص؛ لأن النص قالب دون مضمون))[1].

إن هذا النوع من التأويل المنفلت، هو صورة غير مباشرة لنظرية صمت القرآن، فكلاهما يقتضي أن يضع القاري المعنى الذي يراه ويودعه قالباً قرآنياً، ثم يسبغ عليه مسوح العصمة وكأن الله قاله أو أراده، في حين إنه ليس غير رأي

(1) من العقيدة إلى الثورة. حسن حنفي (1/ 397–398).

بشري، بل في كثير من الأحايين نجده مجرد هراء وهذيان بشري.تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومن المثالات التي تساق في هذا الموضوع ما ورد عن بعض الباطنية من تعسف تأويلي من مثالاته:

- **قولهم إن المراد بالصلاة :**

صلة الدَّاعي إلى دار السلام. والزكاة: إيصال الحكمة إلى المستحق. والصيام: كتمان أسرارهم. والحج: السفر إلى شيوخهم. والجنة: التَّمتُّع في الدُّنيا باللَّذَّات، والنَّار: التزام الشَّرائع والدُّخول تحت أثقالها. والملائكة والشَّياطين: قوى النَّفس الطَّيِّبة والخبيثة. وأن معنى قوله: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: 18]: إلى الأرواح كيف جالت في الغيوب، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: 91] إلى قلوب العارفين كيف أطاقت حملَ المعرفة [1].

وقال بعضهم إن قوله تعالى مخاطباً موسى﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 12] أنَّ المقصودَ بالنَّعلَين هما النَّفسُ والجسدُ؛ هوى النَّفس وملذَّات الجسد[2].

إننا سنوغل في العبث بالقرآن لو تبنينا كل قول قاله الناس فيه، دون ضوابط تفسيرية وتأويلية، تبعد عنه محاولات تفريغه وإسكاته.لن يكون في صالح القرآن أن نقبل مثل قول أركون حين قال ((فالقرآنُ هو نَصٌّ مفتوحٌ لجميع المعاني، ولا يمكن لأيِّ تفسير أو تأويل أن يغلقَه أو يستنفدَه بشكل

---

(1) حقائق التفسير للسلمي ص(365).

(2) القرآن محاولة لفهم عصري. مصطفى محمود (135).

نهائيٍّ))[1]. أو قول حسن حنفي ((النص قالب دون مضمون))[2].

إن من أوضح المحاذير التي نتوقعها من انتهاج نظرية صمت القرآن؛ أن يصير القرآن إلى حال التوراة، والإنجيل، حيث صارا مجرد كتابين لا أثر لهما في حياة أتباعهما، الذين صاروا (لاينتفعون مما فيهما بشيء) حسب تعبير النبي عليه السلام، في الحديث الوارد من رواية زياد بن لبيد، الذي قال: ((ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شيئًا فقال: وذاك عند أوان ذهاب العلم.قلت: يا رسول الله، وكيف يَذْهَبُ العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءَنا، ويقرِّئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «ثكلتك أمُّك يا ابنَ أمِّ لبيد؛ إن كنتُ لأراك من أفقه رجِل بالمدينة، أوَلَيس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التَّوراةَ والإنجيلَ، لا يَنتفعون ممَّا فيهما بشيء»[3].

ومما يقتضي القول بصمت القرآن طرح الكثير من الحدثاء رأيهم القائل إن القرآن كله قائم على دلالات مفتوحة واحتمالية، مما يقتضي استبعاد الدلالات المحددة، والمعاني الجلية الممثلة لخطاب الله تعالى للناس والمكلفين.قال (أركون) ((إن القرآن هو عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل البشر))[4].

وفي معناه قول (علي حرب) بأنه مفتوح على كل المعاني وكافة التأويلات، بحيث يمكن أن تتمرأى فيه كل الذوات، وأن تقرأ فيه مختلف العقائد والشرائع.[5]

---

(1) تاريخية الفكر العربي الإسلامي.محمد أركون ص (145).

(2) من العقيدة إلى الثورة. حسن حنفي (1/ 397-398).

(3) خرجه ابن ماجه (4048) وصححه الألباني في المشكاة (277).

(4) تاريخية الفكر العربي.محمد أركون ص145

(5) نقد النص. علي حرب.ص87

العملية التفسيرية بين الانغلاق والانفلات:

يكثر في الدراسات الحديثة الاعتراض على دور المفسرين القدماء، والإزراء بجدوى الجهود التفسيرية القديمة كلها، بل قد نحا الكثير من المعاصرين إلى تجريم دور المفسرين وأعمالهم التفسيرية، وتحميلها أوزار سوء فهوم الناس، واضطراب علاقاتهم بمعاني القرآنية. كل ذلك يسوقه أولئك الكتاب الْحُدثاء في تعميمات وإطلاقات تطال علم التفسير القرآني بعامة، والمفسرين بوصف شامل. وهذا أمر لا تقبله الروح النقدية المنصفة. فهو موقف أقرب للنقد الأهوج الأعشى، من جهة أصحاب المذهب الانفلاتي وله - على كل حال - دوافع منها:

1 - شدة ما أصاب تفسير النص القرآني من سوء فهمٍ، وغبش بيانٍ، وخلط معانٍ، وما دخله من خرافات مُهَوشة، ودخائل مشوشة، لا تليق بهيبة، وقدسية النص المجيد.

2 - النزوع الرجوعي من طرف كثير من المشايخ المكتفين بقديم التفاسير، المدعين أن صوب التفاسير انحصر في ما سطره الأقدمون، وأن الحق في درك مراد الله تعالى محصور في حقبة أسلافنا دون غيرهم، وأن حُدَثاءَ المفسرين ليس لهم صلاحية الاجتهاد، أومخالفة المعاني التي ظهرت للأسلاف من داخل القرآن أو الخروج عن اختياراتهم.

. وأنا أطلق على الأول: المذهب الانفلاتي، وعلى الآخر: المذهب الانغلاقي. وفيما يتلو قدر من التفصيل المتعلق بهما.

الأول: المذهب الانفلاتي:

هو توجه ينزع نحو الانفلات من الرصيد التفسيري الموروث، متجاوزاً مرحلة التصفية والغربلة والتنقيح التي يجب المرور بها؛ لأجل الوصول إلى تراث تفسيري قويم نافع. هذا المذهب الانفلاتي ينطلق إلى مرحلة القطيعة مع

الموروث التفسيري ضمن سياق استعلائي، عدواني غير قانع بجدوى التدقيق، والمصالحة، مع التراث التفسيري، ومنتجيه، وأتباعه؛ فيراه تركةً ثقيلة يجب التخفف منها، والازورار عنها.

إن هذا المذهب الانفلاتي لا ينفك يصطنع مناهج ومسارب يقصد من خلالها مقاربة واستحلاب النص القرآني؛ كي يجبره على إنتاج معانٍ خارجة عما أنتجه القدماء، وما استقر في المنظومة التفسيرية.وكثيراً ما يعتمد على الترميز، والتأويل الغالي، بل يتجاوز ذلك إلى تبني نظرية (صمت القرآن) التي سلف منا عرضها ونقدها قبل قليل من هذا المبحث، مما انجر عنه الخروج بآراء صادمة وعائلة عن مقاصد، ودلالات، النص القرآني. من ذلك ما رأيناه في كتابات كثيرين منهم: الصادق النيهوم،ومحمد شحرور، وحسن حنفي، ومحمد أركون.

ومن مثالات ذلك قول أحدهم ((الجنة والنار هما النعيم والعذاب في هذه الدنيا، وليس في عالم آخر يحشر فيه الإنسان بعد الموت؛ الدُّنيا هي الأرض، والعالَم الآخر هو الأرض؛ الجنةُ ما يصيب الإنسان من خير في الدُّنيا، والنَّارُ ما يصيب الإنسانَ من شرٍّ فيها))[1].

ويقول ((أمور المعاد هي الدراسات المستقبلية بلغة العصر، والكشف عن نتائج المستقبل ابتداءً من حسابات الحاضر))[2].

و((أن المقصود بالنفخ في الصور، وقيام الساعة: صراعُ لمتناقضات))[3].

«أمَّا الحور العين والملذات فهي تعبير عن الفن والحياة بدون قلق))[4].

---

(1) من العقيدة إلى الثورة. حسن حنفي (4/ 601).

(2) من العقيدة إلى الثورة (4/ 605).

(3) الكتاب والقرآن. محمد شحرور (236، 237).

(4) العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية لتركي علي الربيعو (140-141).نقلاً عن:بدعة إعادة فهم النص. محمد المنجد.ص66

ولا يغيب عنا أن هذا النوع يرتبط بآصرة شديدة بما عُرف في تراثنا باسم التفسير الإشاري، الذي يرتبط احتوائية بما عرف بالتفسير الباطني، ولعل أوضح فارق بينهما أن أهل التفسير الباطني يرون أن ما يقولونه هو المراد من الآيات جزماً دون غيره، أما أهل لتفسير الإشاري فيوردون تفسيرهم وإشاراتهم بوصفها لطائف ومقاصد إلاهية، من غير مصادرة ما يسنح من الآيات بمقتضى ظاهر دلالاتها.[1]

الثاني: المذهب الانغلاقي:

هو مذهب الذين عملوا على تغليق الأبواب في وجه التفاسير والفهوم الجديدة، والمعاني المبدعة من طرف حُدَثاء المفسرين، الذين فتح الله عليهم بمعانٍ لم تطابق ما فتح به على الأسلاف، من معانٍ استنبطت من القرآن؛ فصاروا يبدّعون كل فهم للقرآن جديد، لم يسبق الأولون إليه، ويغمطون كل تفسير للقرآن حديث، لم ينطق الأسلاف به.

إن هذا لهو الانغلاق برأسه الذميم. حين يحجر على الناس والعلماء المعاصرين ممارسة ما حثهم الله تعالى عليه حين قال ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾[2] والانغلاقيون بهذا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فرُبَّ مريد للخير، لا يبلغه. ورب قاصد للحق، لايحسنه. ورب طالب للصواب لا يبصره.

إن هذا المذهب التجميدي لهو من أشد الأخطار على كتاب الله، الذي لا تنقضي معانيه، ولا تنفد مراميه، ولا يَخْلَق من طول النظر، ولا تغمره ادعاءات البشر.

---

(1) للتفصيل في التفريق بين التفسير الإشاري ، والتفسير الباطني انظر (التحرير والتنوير) لابن عاشور.1/ 43. و(أثر الفكر الصوفي في التفسير:دراسة ونقد)بهاء الدين حسن سليمان. رسالة ماجستير.ص46.

(2) (سورة محمد.الآية24).

هما إذاً مذهبان –الانفلاتي، والانغلاقي- لا يزالان يعملان في ساحة علوم القرآن – و لاسيما التفسير-لكل منهما رواده ومنظروه وحواريوه، وراغبوه وداعموه. وفي كل منهما ضرر عميم، وخطر عظيم ، وأثر ذميم.

وظيفة المفسر

من قصر النظر أن لا نرى في المفسّر غير ناقل لكلام من سبقه، وأن يركن المتخصص في التفسير إلى هذا القدر من الجهد. ومن المعيب أن يقصُر المفسر مهمته على اجترار ما كتبه غيره، ثم لا يضيف شيئاً أكثر من كتابة اسمه على غلاف كتابٍ في التفسير يطبعه.

إن السعي إلى الخروج من حالة تجميد التفسير، يقتضي زيادة مسؤوليات المفسر؛ بإثقال عمله بمهام جديدة تضاف إلى مهمة الشرح والإبانة، للمفردات والتراكيب، والمعاني المودعة في القرآن المجيد.فهذه مهمة توضيحية سيطرت على تطبيقات التفاسير التقليدية، مغفلة أن على للمفسر دوراً آخر عليه إنجازه، ذلكم هو ربط القرآن بالحياة ربطاً مباشراً، وجعله ملامساً لدقيقات، وتفصيلات حياة الناس، سواء في بيوتهم، أو أسواقهم، أو مساجدهم، في سلمهم، أوحربهم.

إن هاته المهمة الجليلة لا تقتضي، ولا تُسوّغ لنا الإغضاء عن نفعية الدور التقليدي للمفسر-أعني الشرح والتوضيح- ولا الإزراء بما وصلنا من تفاسير معتمدة على تلكم المهمة، فهي على كل حال مهمة يحتاجها كل قارئ ومطالع للقرآن. لكن الخطر يتجسد، والقصور يتشكل في الاقتصار عليها. وليست أوافق الشيخ أمين الخولي في دعوته المفسرين إلى ترك تلك الوظيفة الشرحية الإبانية، ودعوته للكف عن استنطاق النص، متوهماً -رحمه الله- أن ذلك ((يخرج

بالقرآن عن وضعه، ويناقض الحكمة الإلاهية، والغرض من وصله بحياة الدين والدنيا))[1]

المهمة التفسيرية هي أهم وأخطر مما تبدو أول النظر، فالتفسير القرآني ليس مجرد بيان لمعاني كلمات ومفردات، وتوضيحٍ لتراكيب جمل ودلالات. بل إن التفسير هو الناقل الأساسي لحقيقة الدين، بوصفه موضوعاً من جهة الإلاه رب العالمين. بمعنى إظهار الشريعة الإسلامية، بما تحمله من أحكام تكليفية ووضعية-بالمعنى الأصولي- أي أن التفسير هو المصدر الإيضاحي الأول لأحكام الإلاه الموجهة للمكلفين، فضلاً عن كونه المصدر الإيضاحي الأساسي لمنظومة العقائد النظرية الضابطة لإيمان المؤمنين، وإسلام المسلمين.

تعقيل الفهم القرآني:

أعنى -هنا- تفعيل دور العقل في فهمنا للمعاني القرآنية، إن تعقيل الفهم يستوجب تخليص المعاني القرآنية من الفهوم الخرافية الطافحةِ بها كثيرات من التفاسير القديمة والحديثة، التي كان أصحابها كحاطبي ليلٍ، لا همَّ لهم غير جمع المرويات، وتكديس القصص؛ ثم حشرها في تفاسيرهم، وحشدها بين أضابيرهم، بعيداً عن مسبار التعقل، وقسطاس التدبر.

ومن أكثر مصادر هذا النوع نجد تفاسير الصوفية، والإسماعيلية، و بقدر أقل نسبيا عند الإمامية. وما أبرئ أحداً إلا أن تفاسير فرقة أهل السنة - مقارنة بغيرها من الفرق - هي أنقى تفاسير المسلمين وأبعدها عن التخريف والتحريف.

---

(1) مناهج تجديد النحو والبلاغة...، أمين الخولي.ص302. نقلاً عن الإنسان والقرآن:وجهاً لوجه.حْميدة النيفر.ص83.

لا جرم أن عدم الاعتناء بتعقيل الفهم القرآني قد أفضى إلى شيوع ما أسميه (تحريف الفهم القرآني) أي لفّه في حلة خرافية لا يُرى القرآن خلالها إلا نصاً سرّياً، غامضاً، عائماً، غائماً؛ لاتكاد تحصِّل منه معنىً يساوق السلامة العقلية، أو يجاري البراءة الفطرية، أو يطابق المقاصد التشريعية، أو يماشي الدلالات اللغوية.

لا يغيب عنا أن المرجع والمنهل في ذلك كله-أي تخريف النص القرآني- ماثل في مصادر متعددة هي: الموروث اليهودي، والمسيحي، والفارسي، إضافة لما دلقه القصاصون المسلمون من خيالاتهم، فضلا عن غرائب غلاة الصوفية، الذين إن برَّأناهم عن تحريف القرآن، فلا نبرئهم عن تخريفه. ولئن كانت البليتان قد أصابتا كتابَيْ أهلِ الكتاب، فلا ريب قد أصابتنا إحداهما.

وقد أعان على ذيوع التخريف الفهمي، ما استملحه كثير من المفسرين، ولا سيما من الصوفية، والغنوصيين، حين أقروا وأشاعوا أن للقرآن طبقتين: الأولى للمعنى الظاهر، والأخرى تضم معنىً باطناً. وأودعوا تحت المعاني الباطنة ما الله به عليم من الخرافات، والتمويهات، والخيالات، التي شكلت حمولة ثقيلة شوشت على صفاء المعاني القرآنية الطبيعية المتبادرة من المعاني اللغوية السائرة على سنن لغة العرب، ومقاصد عبارات لسانهم المبين.

من مثالات ذلكم: ما ورد في تفسير التستري: ((قوله: وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما. قال: ظاهرها ما عليه أهل التفسير، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة، فإن بغى الطبع والهوى

والشهوة على القلب والعقل والروح فليقاتله العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة، ليكون الروح والعقل غالباً والهوى والشهوة مغلوبا))[1]

وفي تفسيره سورة الفتح قال سهل التستري ((قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً. قال: يعني أسرار العلوم في قلبك حتى ظهر عليك آثارها، وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة .لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . قال: أي ما تقدم من ذنب أبيك آدم صلوات الله عليه ،وأنت في صلبه، وما تأخر من ذنوب أمتك، إذ كنت قائدهم ودليلهم.))[2]

إن تعقيل الفهم إجراء مصادم لتخريف الفهم، والقراع بينهما هو أحد التحديات التي تواجه المسعى التجديدي للعملة التفسيرية.

إن تعقيل الفهم هو قرين التدبر القرآني، واستجابة للنداء المقدس، المفهوم من قوله جل وعز ﴿أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها﴾؟

(أمثلة لتخريف الفهم)

إني ساردٌ عليك فيما يلي بعضاً من مثالات التخريف الذي شوهت به تفاسير القرآن المجيد.من لدن تفسير مقاتل بن سليمان(151هـ)، مروراً بعلاء الدين الخازن(741هـ)، وصولاً إلى جلال الدين السيوطي (911هـ) –رحمهم الله– حيث يتحملون وزراً ثقيلاً ظاهراً مما انتشر في التفاسير التي اهتمت

---

(1) تفسير التستري.1/ 149. هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التّستري. ولد بمدينة تستر في سنة مئتين، وقيل: إحدى ومئتين، أما وفاته فكانت بالبصرة سنة (283 هـ) وقيل سنة (273 هـ) وقيل (293 هـ.. انظر ترجمته وأخباره في المصادر الآتية: الأعلام 3 143 /والأنساب للسمعاني 1/ 465 والبداية والنهاية 1/ 182 (حوادث سنة 283 هـ) وتاريخ الأدب لبروكلمان 4/ 13 وتاريخ التراث العربي 1: 4/ 29– 30 وحلية الأولياء 21210 -190 /

(2) نفسه1/ 147

بتحشـــيد الروايـــات، واهتبـــال الغرابـــات، واحتطـــاب النقـــولات، وتكـــديس الواهيات، دون تبصر، ولا تدبر، ولا تفكر.

فممـا ورد مـن ذلـك ضـمن قصـة بلقـيس ملكـة سـبأ مـا ذكـره بعـض المفسـرين عنـد تفسـير قولـه تعـالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] فقـد ذكـر ابـن جريـر، والـثعلبي، والبغـوي، والخـازن، وغيرهـم: أن سـليمان أراد أن يتزوجهـا، فقيـل لـه: إن رجليهـا كحـافر الحمـار، وهـي شَعْرَاء الساقين، فأمرهم، فبنـوا لـه هـذا القصـر علـى هـذه الصـفة، فلمـا رأتـه حسـبته لجـة، وكشـفت عـن سـاقيها لتخوضـه، فنظـر سـليمان فـإذا هـي أحسـن النـاس قـدما وساقا، إلا أنهـا كانـت شـعراء السـاقين، فكـره ذلـك، فسـأل الإنـس مـا يـذهب هـذا؟ قـالوا: الموسـى، فقالـت بلقـيس: لم تمسـني حديـدة قـط، وكـره سـليمان ذلـك، خشـية أن تقطـع سـاقيها، فسـأل الجـن: فقـالوا: لا نـدري، ثـم سـأل الشـياطين؟ فقـالوا: إنـا نحتـال لـك حتـى تكـون كالفضـة البيضـاء، فاتخـذوا لهـا النـورة، والحمـام، فكانـت النورة والحمام من يومئذ)).

وقـد نسـب هـذا الهـراء إلى كـل مـن: ابـن عبـاس، ومجاهـد، وعكرمـة، ومحمـد بـن كعـب القرظـي، والسـدي، وابـن جـريج وغيرهـم. وروي أيضـا: (أنهـا سـألت سـيدنا سـليمان عـن أمـرين قالـت لـه: أريـد مـاء لـيس مـن أرض ولا مـن سمـاء. فسأل سـليمان الإنـس، ثـم الجـن، ثـم الشـياطين، فقالـت الشـياطين: هـذا هـين، أجـرِ الخيل، ثم خذ عرقهـا، ثـم امـلأ منـه الآنيـة، فـأمر بالخيـل فأجريـت، ثـم أخـذ العـرق فملأ الآنية.

---

(1) سورة النمل: الآية 44.

وسألته عن لون الله عز وجل فوثب سليمان عن سريره، وفزع من السؤال، وقال: لقد سألتني -يا رب- عن أمر، إنه ليتعاظم في قلبي أن أذكره لك، ولكن الله أنساه، وأنساهم ما سألته عنه.)

ومما نسج من خرافات، ما حشر في تفسير قصة نبي الله داوود: ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبغوي، والسيوطي[1]عن ابن عباس، ومجاهد، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، والسدي، وغيرهم ما محصلها: أن داوود عليه السلام حدث نفسه: (إن ابتلُي، أن يعتصم. فقيل له: إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذي تبتلى فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلى فيه فأخذ الزبور، ودخل المحراب، وأغلق بابه، وأقعَدَ خادمه على الباب، وقال: لا تأذن لأحد اليوم. فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله نفضت شعرها، فغطت جسدها به، وكان زوجها غازيا في سبيل الله، فكتب داوود إلى رأس الغزاة: أن اجعله في حملة التابوت(صندوق فيه بعض مخلفات أنبياء بني إسرائيل فكانوا يقدمونه بين يدي الجيش كي ينصروا)، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت، فقُتِل، وفي بعض هذه الروايات أنه فعل ذلك ثلاث مرات، حتى قتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها، خطبها داوود عليه السلام، فتسور عليه الملكان، وكان ما كان، مما حكاه الله تعالى): "رُفِع ذلك إلى النبي."

ولم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة والتابعين، ومسلمة أهل الكتاب بل جاء بعضها مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قال السيوطي : وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند ضعيف، عن أنس رض الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله

---

(1) الدر المنثور... 5 / 300-302.

عليه وسلم يقمل: "إن داوود عليه السلام حين نظر إلى المرأة، قطغ(هي هكذا في "الدر المنثور" وفي تفسير البغوي ولعلها قطع.)على بني إسرائيل وأوصى صاحب الجيش، فقال: إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت"، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم معه الجيش، فقتل، وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داوود عليه السلام فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه).إن مثل هذا الهراء حقيق بمن يقصه أن يقرع بالعصا، حتى يكف. فكيف يرتضي بعضهم أن يودعوه ويحشروه، في كتب التفسير بوصفه من تفسير كلام الله تعالى.؟

وذكر البغوي في تفسيره وغيره، عن وهب بن منبه: أن داوود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا يكفّ دمعه ليلاً، ولا نهارًا، وكان أصاب الخطيئة، وهو ابن سبع وسبعين سنة، فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم لنسائه، ويوم يسيح في الفيافي، والجبال، والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي، فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، ويبكي معه الشجر، والرمال، والطير، والوحش، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، وتبكي معه الجبال، والحجارة، والدواب والطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، وتبكى معه الحيتان، ودواب البحر وطير الماء والسباع.[1]

---

(1) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ج 7 ص 195.

ومن الإسرائيليات في قصة سليمان عليه السلام:ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾(ص).(.34) كابن جرير، وابن أبي حاتم، والثعلبي، والبغوي، وغيرهم، وذكر كل ما روى السيوطي، في "الدر المنثور :"أخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، بسند قوي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: أراد سليمان -عليه السلام- أن يدخل الخلاء؛ فأعطى الجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي، فأعطته، فلما لبسه، دانت له الجن، والإنس، والشياطين، فلما خرج سليمان -عليه السلام- من الخلاء، قال لها: هاتي خاتمي، فقالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان، قالت: كذبت، لست سليمان، فجعل لا يأتي أحدًا يقول له: أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك؛ عرف أنه من أمر الله -عز وجل- وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان -عليه السلام- سلطانه ألقى الله في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان -عليه السلام- فقالوا لهن: أيكون من سليمان شيء؟ قلن: نعم، إنه يأتينا ونحن حيّض، وما كان يأتينا قبل ذلك. فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له: ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبا فيها سحر، ومكر، فدفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أثاروها، وقرؤوها على الناس، قالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس، ويغلبهم، فأكفر الناس سليمان، فلم يزالوا يكفرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه في البحر، فتلقته سمكة، فأخذته، وكان سليمان -عليه السلام- يعمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل، فاشترى سمكا؛ فيه تلك السمكة في بطنها الخاتم، فدعا سليمان -عليه السلام- فقال له: تحمل لي هذا السمك، ثم انطلق إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم،

فأخذها سليمان -عليه السلام- فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه، فلبسه، فلما لبسه دانت له الإنس، والجن، والشياطين، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان -عليه السلام- في طلبه، وكان شيطانا مريدًا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائماً، فجاؤوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص، فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص، فأخذوه وأوثقوه: وجاؤوا به إلى سليمان -عليه السلام-، فأمر به، فنقب له في رخام، ثم أدخل في جوفه، ثم سد بالنحاس، ثم أمر به، فطرح في البحر، فذلك قوله ﴿**ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا . . .**﴾، يعني الشيطان الذي كان تسلط عليه.

إن من وجوه الاستهانة بكلام الله تعالى، والإزراء بعلم التفسير أن يرتضي المفسر سرد مثيلات هاته الخرافات السمجة، والأكذوبات المسيخة.

ولقد روى السيوطي في "الدرالمنثور" روايات أخرى، عن ابن عباس وقتادة، في أن (هذا الشيطان كان يسمى صخرا، وروي عن مجاهد: أن اسمه آصف، وأن سليمان سأله: كيف تفتنون الناس؟ فقال الشيطان: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان، وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه، حتى كان ما كان من أمر السمكة، والعثور على الخاتم، ورجوع ملك سليمان إليه.

غير أن في رواية قتادة، ومجاهد: أن الشيطان لم يسلط على نساء سليمان، ومنعهن الله منه، فلم يقربهن، ولم يقربنه.

ومما اختُلق في قصة سيدنا أيوب ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَخُذْ**

بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1] ذكر السيوطي في "الدر المنثور" وغيره، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾... الآية، قال: ذهاب الأهل والمال، والضر الذي أصابه في جسده، قال:(ابتلي سبع سنين وأشهرا، فألقي على كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرَّج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن.

قال: وأخرج أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن العباس رضي الله عنهما، قال: إن الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا رب سلطني على أيوب عليه السلام، قال الله: قد سلطتك على ماله، وولده، ولم أسلطك على جسده، فنزل: فجمع جنوده فقال لهم: قد سلطت على أيوب؛ فأروني سلطانكم فصاروا نيرانا، ثم صاروا ماء، فينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى غنمه، وقال: إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف: فأتوه بالمصائب بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع فقال: يا أيوب، ألم ترَ إلى ربك، أرسل على زرعك عدوا، فذهب به، وجاء صاحب الإبل، وقال: ألم ترَ إلى ربك أرسل على إبلك عدوًا، فذهب بها، ثم جاء صاحب البقر، فقال: ألم ترَ إلى ربك أرسل على بقرك عدواً، فذهب بها. وتفرد هو ببنيه جمعهم في بيت أكبرهم، فينما هم يأكلون، ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام، فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم، فينما هم يأكلون، ويشربون؛ إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم، ولحومهم بطعامهم، وشرابهم، فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم

(1) سورة ص 44-41 :

ولدتني أمي، فقام، فحلق رأسه، وقام يصلي، فرنَّ إبليس رنَّةً سمع بها أهل السماء وأهل الأرض، ثم خرج إلى السماء، فقال: أي رب، إنه قد اعتصم، فسلطني عليه، فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال: قد سلطتك على جسده، ولم أسلطك على قلبه، فنزل، فنفخ تحت قدمه نفخة، قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، وألقي على الرماد، حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه، حتى قالت له: أما ترى يا أيوب، قد نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني [أي ظفائر شعري] برغيف، فأطعمك، فادْع الله أن يشفيك، ويريحك، قال: ويحك؛ كنا في النعيم سبعين عاما، فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء جبريل عليه السلام يومًا فأخذ بيده، ثم قال: قم: فقام، فنحاه عن مكانه، وقال: اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب، فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل، فاغتسل منها، ثم جاء أيضا، فقال: اركض برجلك فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، وهو قوله: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، وألبسه الله حلة من الجنة. فتنحى أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذي كان هنا، لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئاب، وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب، قد رد الله علي جسدي. ورد الله عليه ماله، وولده عيانًا ومثلهم معهم...))[1]

لعل أحداً يقول لمَ تعترضون على مثل هاته المرويات وقد جاء الإذن من رسول الله بالتحديث عن أهل الكتاب؟ فأقول إن ما ضمّته كتب أهل الكتاب فيه النافع من قصص وعْظية، ومعلومات متوافقة مع ما ورد في القرآن

---

(1) الدر المنثور. 5 ص 315- 316.وينظر مثلاً ما أورده الخازن في تفسير آية {وإذ فرقنا بكم البحر...} وآية {إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...}.

المجيد، كما أن فيه خرافات، وسماجات، وهراء يجب أن ننزه تفاسيرنا عن أن تلتبس به، أو أن يخالطها.لذلك يجب التفريق بين ذين النوعين مما هو ماكث في بطون كتب أهل الكتاب.

ولست أترك التنبيه إلى نوع من التفسير هو داخل في نطاق ما سميته تخريف القرآن، وهو ما عرف باسم التفسيرالإشاري، فرغم انطوائه على بعض المقولات والإشارات اللطيفة الدقيقة، فإنه قد انضمّ على كثير من التعسف، والخيالات الواهية، والدلالات النائية عن العقل ولوازمه، من ذلك التفسير الإشاري ما أورده الآلوسي(ت1270هـ) في تفسيره قال: ((ومن باب الإشارة في الآية﴿ ألم ﴾تقدم الكلام عليه وذكر بعض ساداتنا فيه أنه أشير به إلى كل الوجود من حيث هو كل لأن (أ) إشارة إلى الذات الذي هو أول الوجود وهو مرتبة الإطلاق، و(ل) إلى العقل المسمى بجبريل الذي هو وسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى. و(م) إلى محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو آخر الوجود وبه تتم دائرته...))[1]

لم تبرأ تفاسير كل الفرق الإسلامية من هذا الحال- أعني شيوع التفاسير التخريفية التي تعتمد الخرافة، وتمتطي الغرابة- و هي الغالبة -كما أسلفت-على تفاسير الصوفية، والشيعة الإمامية، والإسماعيلية، من غير تعميم على الجميع. كما لم تخل منها تفاسير بعض من فرقة أهل السنة، لكنها -نسبياً- أقل ما ضمته تفاسير الفرق الأخرى.

فتخريف التفسير -إذاً- هو ملء التفسير بالخرافات، ومزج مفهومات القرآن، ودلالات آياته بتصورات خارجة عن ضوابط العقل، والشرع. سواء من القصص الخيالي، أو الفكر الخبالي.

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.شهاب الدين الآلوسي. انظرتفسيره لفاتحة سورة آل عمران.

وإلى ذلك كله تضاف بَلية جديدة، هي ما شاع من تقحمٍ لمجال التفسير من طرف بعض أدعياء التجديد، ممن يرومون الوصول إلى معانٍ وأحكام، لم يضمها القرآن، فأكرهوه على ضمها، بتكلفات لغوية، وتعسفات تأويلية. رغماً عن أنف القرآن، ورغماً عن أنف اللغة. ولئن كانت مصيبتا التحريف والتخريف قد أصابتا كتب أهل الكتاب، فلقد أصابت كتابنا إحداهما، وهي بلية التخريف، دون التحريف. إن تعقيل الفهم إجراء علاجي مصادم لتخريفه، و تحمّل الصراع بينهما واجب من الواجبات التي تواجه المسعى التجديدي الواعي للعملية التفسيرية. في خضم تلكم الطامات التي أهرقت في تفاسير القرآن، علينا أن نوكّد أن من أنهد ميزات القرآن المجيد-كما ذكر الجابري- ((خلوه من ثقل الأسرار(mysteres) التي تجعل المعرفة بالدين تقع خارج تناول العقل)).([1])

الإسرائيليات:

هناك بين الباحثين اضطراب وعدم انضباط في مقتضيات الدلالة المصطلحية للإسرائيليات، حيث لا يقبل بعضهم إطلاقه على الأخبار المتناولة قصص الأمم غير اليهودية كعاد وثمود، وكذا أخبار النصارى وعيسى ابن مريم، كذلك يرون إخراج ما كان موافقاً لصحيح النصوص الإسلامية.

ذلكم الذي نقلت مثالات له هو ما دخل نطاق المرويات التي سماها علماء التفسير بالإسرائيليات.لقد كانت الإسرائيليات هي الوعاء الأوسع للتخاريف التي استوطنت أكثر تفاسير القدماء، ولم تبرأ عن بعضها تفاسير العصريين أيضاً.

---

(1) مدخل إلى القرآن الكريم. الجزء الأول في التعريف بالقرآن. محمد عابد الجابري. مركز دراسات ا لوحدة العربية. بيروت.ط2. 2007. ص433.

وبـرغم اجتمـاع كلمـة علمـاء القـرآن علـى ذم إيرادهـا في التفاسـير وجـد مـن يـرى خـيرا في وجودهـا، وهـو الباحـث (مسـاعد الطيـار) الـذي يقـول : ((الإسـرائيليات تشـمل قصصًـا وأخبـارًا عديـدة منهـا مـا هـو وارد عـن بـني إسـرائيل ومـا يتعلـق بأنبيـائهم وأحـوالهم مـع الأنبيـاء، ومنهـا مـا لا يتعلـق بأنبيـائهم؛ كأخبـار قـوم صـالح وهـود وشـعيب، وهـذا القصـص يـدخل في الإسـرائيليات مـن بـاب التغليب كما أشـار إلى ذلـك الشـيخ الـذهبي، وهـذا يـدلّ علـى كـون مفهـوم مصـطلح الإسـرائيليات لم يـزل غـير محـدّد بصـورةٍ بَيِّنـةٍ، وبغـضِّ النظـر عـن ذلـك إلَّـا أن قَصْـر مفهـوم الإسـرائيليات علـى أنـه خرافـة وأسـاطير مشـكِل، بـل إنّ فيـه طعنًـا خفيًّـا في المفسِّرين بأنهم نقَلوا أمورًا خرافيةً بلا وعي))[1].

ولا يغيـب عنـا أن الإسـرائيليات ليسـت كلـها شـاملة لهـذا الضـرب التخريفـي، بـل فيهـا قصـص موافقـة لمـا في القـرآن كمقـاطع طويلـة مـن قصـة مـريم، ووقصـة يوسـف، ولـبعض مـا رواه نـبي الله[2]. وكلامـي السـالف متعلـق تحديـداً بمـا شملتـه الإسـرائيليات مـن خرافـات سميجـة، ومسـيئة للعقـل وللأنبيـاء.والـتي نـرى مـن بـاب حسـن الظـن بناقليهـا أنهـا نقلـت لـديهم بحسـن نيـة وبـلا وعـي، وإلا إن كان نقلها تم بتقصد ووعي فتلك بلية طامة أدهى وأشنع.

يـرى بعـض البـاحثين في التفسـير انطـواء الإسـرائيليات علـى منـافع تفيـد العلملية التفسيرية، وهي:[3]

---

(1) حوار معه أجراه مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(2) ينظر تقسيم ابن تيمية للإسرائيليات ثلاثياً ثلاثة أقسام: ما يوافق شَرْعَنا، وما يخالفه، وما لا يوافـق ولا يخالف.

(3) الكـلام للـدكتور مسـاعد الطيـار: في لقـاء معـه أجـراه موقـع (تفسـير للدراسـات القرآنيـة) www.tafsir.net

أولًا: توجيه الآية لمعنى محتمَل لها: بعض الآيات هي مما لا يمكن فهمه بصورة دقيقة إلا من خلال المرويّات الإسرائيلية. فتفسير فتنة داوود وسليمان وغير ذلك لا يمكن أن يُعرف معناه إلَّا من خلال ما أورده السلف وذكروا فيه روايات إسرائيلية.

ثانيًا: تعيين المبهَمات: تعيين المبهَم أصله في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ حيث بيَّن لنا المبهَم في قصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف وسمَّاه بأنه الخَضِر.

ثالثًا: معرفة سبب القصة: فالقرآن يُورِد أمورًا لا يُعرَف سببها، كما حكى لنا في قصة داوود وفتنته وإيراد الإسرائيليات يبيِّن لنا الأسباب التي أفضَتْ لوقوع الحدَث.

رابعًا: تفصيل المجمَل: وهذا هو الغالب والمشتهر، ومن ذلك ذكرهم للقصص في الضرّ الذي أصاب سيدنا أيوب وغير ذلك.

هذه النقاط الأربع التي ذكرها الدكتور (مساعد الطيار) بصفتها وجوه انتفاع بالمرويات الإسرائيلية.ولست أبتغي بسط الكلام في التعليق عليها ومناقشتها فالمراد من هذا الكتاب لا يتيح مندوحة واسعة لذلك. لكن حسبي أن أقول لو وجد المفسر حاجة إلى تعيين محتمل، أو توضيح مبهم، أو تفصيل مجمل، أو معرفة سبب قصة، فلا حرج في اقتباس ونقل ذلك من أي رواية إسرائيلية، أو نصرانية، بشرط أن تخلو من السماجة المعنوية، والشناعة الخيالية والمسيئة لمقام الأنبياء الكرام.

أما أن يفتح المجال بحيث تصير كتب تفسير القرآن بمكانة مكبٍ لنفايات بني إسرائيل فهذا منكر، يجب تنزيه تفسيرات القرآن عنه، وغسلها من أدران تلك الأساطير البشعة، على نحو يماثل إزالة النجاسة عن ثوب المصلي.

ولـيس يسـوّغ لنـا التهـاون في هـذا الواجـب أن كـثيراً مـن أسـلافنا المفسـرين –رحمهـم الله–قـد حشـدوا تلكـم المرويـات في تفسـيراتهم، وأحلّوهـا محـل الرضاوسط مصنفاتهم.

ففـي كـثير مـن حـالات تفصـيل المجمـل، وتعـيين المـبهم، وإيـراد الأسـباب مـن كتـب أهـل الكتـاب نجـد التفاصـيل بشـعة شـوهاء، سميجـة مسـيخة، غـير لائـق تناولها ولا تـداولها. كمـا هـو مـثلاً تفصـيل مجمـل حكايـة سـيدنا سـليمان مـع الجـن.و مجمـل لقائـه ببلقـيس، وتفاصـيل مـرض وابـتلاء نـبي الله أيـوب، وابـتلاء نـبي الله داوود.

القافلة

هنا نقفل بحثنا في عالم التفسير القرآني ومناهجه، وإشكاليات وقضايا التعامل معه، فهماً، وتدبراً، وتفعيلاً، وتجديداً. وقد بدرت أثناءه نتائج تمثل زبدته الناتجة عن مخض مباحثه، وتدبر أفكاره. تلك النتائج هي التالية:

1- إلى جانب تفاسير نافعة سطرها بعض علماء السلف، ابتلي القرآن لقرون طويلة بسيطرة مسلك تفسيري تجميدي لم يتح لغيره العمل، بسبب منهج التقليد والاجترار، الذي أنتج ركاماً من التفاسير التي حولت القرآن إلى مزقٍ لا يربط بينها رابط، ولا ينبط وسطها نابط. بل حولت النص المجيد إلى صحراء قاحلة، ومفازة ماحلة، لا مطمع فيها لعقل عاقل، ولا رواء فيها لحيرة سائل.

بل صار النص المجيد في تلك التفاسير إلى معانٍ عائلة.وتشاريع مائلة، لا وشيجة تربطها بحكمة لله تعالى ذكره، ولا أثارةَ فيها لحكمته تسامى عزه؛ فوهن -نسبياً-تأثيره في الناس، وبدل أن يكون عالقاً بقلوبهم، جعلوه عائقاً بطريقهم. هذا الحال الكئيب لم يخفف من شدته إلا بعض التفاسير النافعة التي أبدعها ثلة من علماء هاته الأمة قديماً وحديثاً.

2- زاد اغتراب القرآن عن واقع الناس، وطلاب العلم، بعد ظهور كثير من المتطفلين على ساحة علومه، وفي ميدان تفسيره، من بعض الحُدثاء المغترين بمناهج حديثة لم يحسنوا فهمها، فأساؤوا تطبيقها،وجعلوا من ساحة القرآن مندوحة لاستعراض المهارات الموهومة، وادعاء الكشوفات المزعومة.

3- التفسير والتأويل كل منهما منهج أصيل في مقاربة وفهم النص المجيد، بيد أن التفسير تعرض لقرون من التجميد؛ فوهن دوره ونفعه.

أمـا التأويـل فتعـرض حـديثاً لتجديـد نظـري وتطبيقـي، أزرى بـه وصـيره وسيلة لتعتيم القرآن،وتعـويم تشـاريعه.هـذا فضـلاً عمـا أصـابه مـن قـديم، مـع عبث الباطنية وغلاة الصوفية، وبعض الفرق الإسلامية غير النقية.

4- التـدبّر المقصـود في القـرآن المجيـد معنـاه التأمـل المركَّـز بطبيعـةٍ عقليـة فطريـة سمحـة، تحـت أضـواء النصـوص النبويـة، واستئناسـاً بكـلام أسـلافنا مـن أهـل العلـم. فهـي عمليـة تـدبُّر غـير غائمـة، ولا عائمـة، ولا عادمـة، ولا متكلفة.

4- لـن يكـون في مصـلحة القـرآن أن يظـل أسـيرا لمنـاهج التفسـير التقليديـة وحـدها، بـل يجـب الاسـتعانة بمسـتحدثات المنـاهج والنظريـات الحديثـة في اللغـة، والدلالة،والأصـوات. لكـن علـى بصـيرة، مـن غـير اغـترار بالحـديث لمجرد حداثته.

5- لـيس في الصـواب إطـلاق الأحكـام التقييميـة علـى الـتراث التفسـيري ومناهجـه مـن غـير تـدقيق وتفصـيل، وكـذا لـيس في الإنصـاف إزجـاء نقـود رافضة لكل مستحدث من الآراء والمناهج الطارفة، لمحض حداثتها.

6- لـيس في الصـواب الـدعوة إلى قطيعـة مـع الـتراث التفسـيري الـذي خلفـه السـلف، بـل إن ذاك الـتراث التفسـيري هـو ثـروة غاليـة، وكنـز ثمـين، يجـب التواصـل معـه، والامتيـاح مـن ينابيعـه، والاسـتنارة بـه، لكـن علـى نحـو واعٍ متبصّـر، لا يقـود إلى الجمـود، وإلى كبـت مـا مـنَّ الله بـه علينـا مـن نعمـة الفهم،والعقل، والتدبر، والنظر.

7- لايـزال القـرآن المجيـد متنازَعـاً بـين اتجـاهين: تجميـدي، وتجديـدي. مـن غـير أن يحتـوي كـل منهمـا علـى صـفات ومقتضـيات الخطـأ كاملـة، ولا علـى عناصر الصواب كاملـة، بـل احتـوى كـل توجـه منهمـا علـى عناصـر نافعـة، إزاء أخرى ضارة، ليست في صالح كتاب الله العزيز.

8- ضعفت همم المتأخرين عن متابعة الجهود التفسيرية الأصيلة؛ فاكتفوا بالاستنساخ والنقل. ولاسيما أن أكثر علماء عصرنا من المتخصصين في التفسير هم أساتيذ جامعيون، شغلهم عملهم التدريسي وإغراءاته المادية، فعقم أكثرهم عن الإنتاج العلمي الرصين، واكتفوا بالكتب التدريسة للمقررات الجامعية، وأكثرهم استغرقتهم محاضراتهم الوظيفية

هذا أهم ما سنح لي من نتائج، وظهر لي من نوابط. فعسى أن يكون صوابه أكثر من خطئه، وقويمه أغزر من سقطه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

خالد بن إبراهيم المحجوبي.

2008م - 2013م.صرمان- الرباط

ملحق

مسرد لأشهر وأهم المفسرين

الطبري 310224- هـ

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري

***اسم الكتاب:**

جامع البيان

. في تأويل آي القرآن.

1. ترجمته في: تاريخ بغداد (2/ 162)، المنتظم لابن الجوزي (6/ 170)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ,(1/78-79) ميزان الاعتدال للذهبي (3/ 498)، لسان الميزان لابن حجر (5/ 100)، البداية والنهاية لابن كثير (11/ 145)، شذرات الذهب لابن العماد (2/ 260)، معجم المفسرين لعادل نويهض (2/ 508)، ومقدمة التفسير لمحمود شاكر

- ابن عطية (541480-هـ)

* أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي الحافظ القاضي العلامة.

***اسم تفسيره:**

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

(1) ترجمته: في بغية الملتمس (376)، السير (19/ 587-588)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (ص174-175) طبقات المفسرين للسيوطي (49).

وبعض المصادر تذكر ولادته سنة 481هـ ووفاته سنة 546 هـ، والمثبت موافق للسير للذهبي غيره .

- ابن الجوزي597-508)هـ:

هـو الإمـام أبـو الفـرج جمـال الـدين عبـدالرحمن بـن علـي بـن محمـد بـن علـي بـن محمد الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي(1).

***اسم الكتاب:**

زاد المسير في علم التفسير.

البدايـة والنهايـة (13/ 28-30 ,(طبقـات المفسـرين للسـيوطي (50 .(ترجمتـه في: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (1/ 399-433)،

- القرطبيت 671ه

*أبـو عبـدالله محمـد بـن أحمـد بـن فَـرْح الأنصـاري الخزرجـي الأندلسـي القـرطبي الإمام(1)

***اسم تفسيره :**

الجامع لأحكام القرآن.

(1)ترجمتـه في: طبقـات المفسـرين للسـيوطي (88) وطبقـات المفسـرين للـداوودي (2/ 69-70) وشـــذرات الـــذهب (5/ 335)، معجـــم المفســـرين لعـــادل نويهض

- النسفي(ت 701هـ)

:أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي

*اسم تفسيره:مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

ترجمتـــه في: الـــدرر الكامنـــة في أعيـــان المائـــة الثامنـــة لابـــن حجـــر العســـقلاني (2/ 247)

- الخازن(741678-هـ)

أبـو الحسـن علـي بـن محمـد بـن إبـراهيم الشـيحي البغـدادي الشـافعي الصـوفي المعروف بالخازن

***اسم تفسيره:**

لباب التأويل في معاني التنزيل.

*ترجمتـــه في: الـــدرر الكامنـــة (3/ 171)، الشـــذرات (6/ 131)، الأعـــلام (5/ 156)، معجم المفسرين (1/ 379)

- ابن جزي الكلبي

693-741)هـ=1294-1340م

محمد بن أحمـد بـن محمـد بـن أحمـد الكلـبي، يكنـى أبـا القاسـم، فقيـه مـالكي، عـالم بالأصول والتفسير واللغة، من أهل غرناطة(1).

***اسم الكتاب:**

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل.

(1)ترجمتـه في: الـدرر الكامنـة لابـن حجـر (3/ 466)، الـديباج المـذهب لابـن فرحون (ص295-296 ,(طبقات المفسرين للداوودي (2/ 85-87.

- ابن كثير ت 774هـ

عمـاد الـدين أبـو الفـداء إسماعيـل بـن عمـر بـن كـثير الدمشـقي الشـافعي الإمـام الحافظ المؤرخ(1).

***اسم الكتاب:**

تفسير القرآن العظيم.

(1) ترجمتـه في: الـدرر الكامنـة لابـن حجـر ,(1/399) البـدر الطـالع (1/ 153)، شـذرات الـذهب (6/ 231)، طبقـات المفسـرين للـداوودي ,(1/111-113) وترجم له الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في "عمدة التفسير ."

- الثعالبي (ت 876هـ)

أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي الجزائري(1)

***اسم تفسيره:**

الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

(1) ترجمته في: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (4/ 152)، الأعلام (3/ 331)، معجم المفسرين (1/ 276)، وكتابه مطبوع في أربعة مجلدات طبع المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر.

- الجلالان:

جلال الدين المحلي محمد بن أحمد المفسر الأصولي الشافعي (864-791 هـ) (1).

جلال الدين السيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر (849–911 هـ)(2).

*اسم التفسير:

تفسير الجلالين.

(1)ترجمته في :شذرات الذهب (7/ 303–304)، الضوء اللامع (7/ 39–41)، طبقات المفسرين للداوودي ,(85-2/84) معجم المفسرين (2/ 485.

(2) ترجمته في: الضوء اللامع (4/ 65–70 ,(البدر الطالع (1/ 328)، شذرات الذهب (8/ 51)، معجم المفسرين (1/ 264)

- أبو السعود982-893)هـ)

أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الفقيه الحنفي المفسر الأصولي الشاعر(1)

***اسم تفسيره:**

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

(1) انظر ترجمته في: البدر الطالع (1/ 261 ,(والشذرات (8/ 398)، ومعجم المفسرين (2/ 625–626)

- الشوكانيت (1250هـ)

هـو الإمـام محمـد بـن علـي بـن محمـد بـن عبـدالله الشـوكاني ثـم الصـنعاني القاضي(1).

*** اسم الكتاب:**

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.

(1) ترجمته في: البدر الطالع (2/ 214

- الآلوسي الكبير

1217(1270-هـ)

***اسم المفسر:**

شهاب الدين السيد محمود بن عبدالله بن محمود بن درويش الحسيني الآلوسي أبو الثناء المفسر المحدث الفقيه الأديب(1).

***اسم تفسيره:**

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

(1) ترجمته في: الأعلام للزركلي (7/176-177) ط السادسة، معجم المفسرين (2/ 665 .

-تفسير مجاهد:

أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م عدد الأجزاء: 1.

- تفسير مقاتل بن سليمان : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - 1423 هـ

-تفسير الثوري :

أبـو عبـد الله سـفيان بـن سـعيد بـن مسـروق الثـوري الكـوفي (المتـوفى: 161هـ) الناشـر: دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان الطبعـة: الأولى 1403 هـ 1983 م

-تفسير يحيى بن سلام:

يحيـى بـن سـلام بـن أبـي ثعلبـة، التيمـي بـالولاء، مـن تـيم ربيعـة، البصـري ثـم الإفريقـي القيروانـي (المتـوفى: 200هـ) تقـديم وتحقيـق: الـدكتورة هنـد شـلبي الناشـر: دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان الطبعـة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م عدد الأجزاء:2

تفسير عبد الرزاق:

أبو بكـر عبـد الـرزاق بـن همـام بـن نـافع الحمـيري اليمـاني الصـنعاني (المتـوفى: 211هـ) الناشـر: دار الكتـب العلميـة دراسـة وتحقيـق: د. محمـود محمـد عبـده الناشـر: دار الكتـب العلميـة - بـيروت. الطبعـة: الأولى، سـنة 1419هـ عـدد الأجزاء: 3

- لطائف الإشارات = تفسير القشيري :

عبـد الكـريم بـن هـوازن بـن عبـد الملـك القشـيري (المتـوفى: 465هـ) المحقـق: إبـراهيم البسـيوني الناشـر: الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب - مصـر الطبعـة: الثالثة

- تفسير القرآن :

أبـو المظفـر، منصـور بـن محمـد بـن عبـد الجبـار ابـن أحمـد المـروزى السـمعاني التميمـي الحنفـي ثـم الشـافعي (المتـوفى: 489هـ) المحقـق: ياسـر بـن إبـراهيم وغنـيم بـن عبـاس بـن غنـيم الناشـر: دار الـوطن، الريـاض - السـعودية الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م

- تفسير التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور

- تفسير المنار: محمد رشيد رضا. كتب رشيد رضا بعد تفسير الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للآية الكريمة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[النساء:126] [يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير): هذه الآية كانت آخر ما فسره شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في الجامع الأزهر، فرضي الله عنه وجزاه عن نفسه وعنا خير الجزاء، وسنستمر في التفسير على هذه الطريقة التي اقتبسناها منه إن شاء الله تعالى.

مسرد المصادر والمراجع

- القرآن المجيد. برواية حفص بن سليمان. عن عاصم بن أبي النجود.
- أسباب النزول. أبو الحسن الواحدي.تح: رضوان جامع رضوان. مكتبة الإيمان. المنصورة. ط1. 1996 م
- أساس البلاغة. الزمخشري. دارالفكر. بيروت. 1994م
- الإسلام والعصر: تحديات وآفاق. طيب تيزيني، ومحمد البوطي.دار الفكر دمشق.ط2 -1999
- إعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن القيم. دار الحديث. القاهرة. دت
- الإتقان في علوم القرآن - السيوطي.دار ابن كثير. دمشق. ط2. 1993م
- الإنسان والقرآن، وجهاً لوجه. حْميدة النيفر. منشورات الفنك –الدار البيضاء- المغرب. 1997.
- بسط التجربة النبوية.ترجمة: أحمد القبانجي.دار الانتشار العربي.بيروت ط 1. 2009م ص321
- التأثير المسيحي في تفسير القرآن.مصطفى أبو هندي. دار الطليعة. بيروت.ط2. 2007م
- الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن. أحمد محمد الفاضل. دار الفتح للدراسات والنشر – عمان-الأردن. ط1. 2017م
- تاج العروس من جواهر القاموس.للزبيدي. دار الفكر. بيروت.ط1. 1994.
- تفسير التستري. أبو محمد سهل التُستري.تحقيق: محمد باسل عيون السود.الناشر: منشورات محمد علي بيضون.دارالكتب العلمية.بيروت الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
- دراسات في أصول التفسير. محمد كبير يونس. منشورات كليةالدعوة الإسلامية. طرابلس.ليبيا. ط1. 2002م

- سنن أبي داوود.سليمان بن الأشعث السجستاني.دار الفجر للتراث. القاهرة. 2010م
- سنن الترمذي.أبو عيسى محمد الترمذي. دار الفجر للتراث. القاهرة. 2009م
- طبقات المفسرين. شمس الدين الداوودي.تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة.القاهرة.ط2-1994م
- جامع الأصول في أحاديث الرسول عليه السلام، لابن الأثير. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان، الطبعة الأولى 1389هـ -1969م، دمشق.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ابن جرير الطبري. تح: أحمد شاكر، ومحود شاكر. دار المعارف. القاهرة.دت
- جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز. حسن الطوير.دار قتيبة. دمشق. ط1- 2001م
- الجامع لأحكام القرآن . القرطبي – دار الفكر – بيروت 1994
- الفكر الديني عند النيهوم:دراسة تحليلية نقدية – خالد إبراهيم المحجوبي. دار النيل للطباعة. القاهرة. 2010م
- الفوز الكبير في أصول التفسير. ولي الله الهلوي.مكتبة التراث الإسلامي.القاهرة.
- القرآن وعلومه والحديث وعلومه . محمد خلف الله- دار المعارف.سوسة – تونس
- قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين) إبراهيم حسن.دار قتيبة.دمشق.ط1
- الموافقات في أصول الأحكام)أبو إسحاق الشاطبي.دار إحياء الكتب العربية.القاهرة.دت
- مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن. نصر حامد أبو زيد. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط3. 1996م

- مقدمة في أصول التفسير – ابن تيمية – دار الصحابة للتراث. طنطا –مصر. ط1- 1988
- مناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزرقاني. دار إحياء الكتب العربية.القاهر. دت
- مدخل إلى القرآن الكريم: في التعريف بالقرآن. محمد عابد الجابري. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.ط2. 2007م.
- مفردات القرآن. عبد الحميد الفراهي. نسخة إلكترونية.
- مناهج تجديد في النحو واللغة، والتفسير،والأدب) أمين الخولي نسخة إلكترونية.
- نحن والقرآن: مقدمات في أصول التدبر – مصطفى أبو هندي. دار الطليعة – بيروت.ط1
- نظرات في كتاب الله. حسن البنا. جمعه وحققه ونشره الشيخ عصام تليمة. الدوحة.2001م نسخة إلكترونية.

السيرة العلمية

د.خالد إبراهيم علي المحجوبي

أستاذ الدراسات العليا –قسم الدراسات الإسلامية- بجامعة الزاوية

عميد كلية القانون والشريعة – بجامعة صبراتة

أستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية – أكاديمية الإمام مالك / تركيا

أهم الشهادات.

- شهادة الدكتوراه. في الفكر الديني. جامعة طرابلس. ليبيا2008
- شهادة دكتوراه في الدراسات الإسلامية _ جامعة الحسن الثاني. في المملكة المغربية. 2012م
- شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية. جامعة الزاوية.2001
- دبلوم الدراسات العليا في الدراسات القرآنية. جامعة الزاوية.1998
- ليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية. كلية الآداب بجامعة الزاوية.1995
- مرحلة التعليم الأساسي مدرسة سيدي زكريا القرآنية – صرمان

*** العمل العلمي والثقافي: -**

- عضو هيئة التدريس بكلية الآداب – جامعة الجبل الغربي / قسم الدراسات الإسلامية. منذ سنة2001م.إلى 2013م
- عضو باحث بمركز الدراسات والأبحاث للتعريب- الرباط- المغرب. 2007-2014م
- عضو اللجنة العلمية بكلية الآداب –جامعة الجبل الغربي – 2001- 2004م.
- أستاذ الدراسات العليا بقسم الدراسات الإسلامية- جامعة الزاوية.منذ 2015
- عضو هيأة التدريس بكلية القانون والشريعة.جامعة صبراتة.

- وكيل الشؤون العلمية بكلية القانون والشريعة. 2016
- عميد كلية القانون والشريعة – جامعة صبراتة منذ 2017
- أستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية – أكاديمية الإمام مالك / تركيا. 2019-2020م

* **- النتاج العلمي:**

أنجز نحو عشرين بحثاً محكّماً تم نشرها ، و له خمسة وعشرون كتاباً. ما بين مطبوع ومنتظر للطباعة. أهمها:

- (ثالوث التصوف الإسلامي) دار النشر والتوزيع- القاهرة.2013
- كتاب "الرسم القرآني بين التوقيف والاصطلاح" عن الدار العالمية للنشر والتوزيع. القاهرة. 1997م. والطبعة الثانية عن معهد المخطوطات العربية.
* (العملية التأثُّرية بين الشرق والغرب). عن دار الأصالة والمعاصرة. طرابلس 2005م
* (صلح الحديبية وأثره في العلاقات الدولية للدولة الإسلامية). دار النشر والتوزيع- القاهرة
* (الاستشراق والإسلام). مجموعة النيل للطباعة- القاهرة.2009م
* (الشخصية الفكرية للنيهوم) - عن المؤسسة العامة للثقافة -ليبيا.2010 م
* (منهجية الكتابة الفقهية). طرابلس.2010.
* (الفكر الديني عند النيهوم:دراسة نقدية تحليلية) .مجموعة النيل للطباعة-القاهرة 2009
- (الأصولية والإفراط التديني)، عن مركز الدراسات المغاربية-. 2016
- تحقيق ودراسة:كتاب (الفجر المنير) دار النشر والتوزيع –القاهرة.2013
-الإعلام بين الخطاب الديني، والتنمية.2014
- الطريقة العروسية وأثرها في المجتمع الليبي.
- التصوف والصوفية في ليبيا.

- (نقد الاستشراق)
- (مثاقفات فكرية)
- (الثلاثي المتوتر: دراسة في علاقات الدين والدولة والسياسة)
- وله تحت الإنجاز كتاب: (إسلام بلا طوائف) ،وكتاب (العربية: هموم وشجون)، وكتاب(على أرض التصوف).
- نشر له أكثر من مئة عمل فكري وبحثي ما بين بحوث ودراسات ومقالات دوريات عربية وليبية منها: مجلة العربي الكويتية- مجلة فضاءات- لسان العرب – مجلة المعلم – مجلة ديوان العرب – مجلة الكلمة الطيبة – مجلة كلية الآداب جامعة الجبل الغربي – مجلة جامعة غريان.- مجلة دراسات – مجلة الملتقى – مجلة شؤون ثقافية -مجلة الدرر الإسلامية- مجلة الجامعة الأسمرية – صحيفة إضافات- مجلة الجليس.وغير ذلك.

المشاركات العلمية والثقافية: -

- شارك في نحو خمسة وثلاثين من والمؤتمرات، والندوات العلمية الفكرية الدولية ، والمحلية. من أهمها:
- مؤتمردولي عن التصوف والطرق الصوفية في أفريقيا . نظمته الجامعة الأسمرية بالتعاون مع مركز جهاد الليبيين.2005 م
- مؤتمر عالمي عن حضارات البحر الأبيض المتوسط. بجامعة باليرمو في إيطاليا. 2008
- ندوة الاستشراق وأثره في الثقافة العربية – جامعة سوسة. بتونس.3-2009
- ندوة المصطلح العربي – جامعة ابن طفيل – المملكة المغربية.2009
- ندوة المقُول المتخصص في اللغة العربية- جامعة محمد الخامس – المملكة المغربية.2008
- ندوة دولية عن التحديث في العلوم الإنسانية. جامعة سوسة.تونس2009م
- مؤتمر عن الاستشراق. جامعة القيروان. تونس 2009م

- ندوة حق الشعوب – نواكشوط – موريتانيا2010م
- ندوة دولية عن مسارات التحول الديمقراطي بدول المغرب العربي. جامعة الجزائر3 – الجزائر-2010م
- ندوة دولية عن الأمن المغاربي. جامعة أبي بكر بن القايد. تلمسان – الجزائر.2008م
- حلقة بحثية عن الإسلام وسؤال التخلف والتحضر. مركز البحث العلمي بجمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس 12-2010م
- ندوة (تراثنا الروحي والحاجات المعاصرة للأمة:بين المثالية والواقعية). لجنة التزكية بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. 2019م.تركيا – استانبول.
- ندوة دولية عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي. أكاديمية الدراسات العليا. جنزور.2010م
- ندوة التعريب والنهضة. طرابلس. 2010م
- ندوة: زواج القاصرات بين الشريعة والقانون. كلية القانون-صرمان –جامعة صبراتة.2018م
- مؤتمر (ظاهرة الهجرة غير الشرعية: بين الشريعة والقانون).جامعة صبراتة-2019م
- الملتقى العلمي الأول لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الجبل الغربي. سنة 2003 م
- ندوة علمية عن ظاهرة الاغتراب في الأدب والفكر. جامعة غريان- 2003 م
- ندوة علمية عن الشخصية الفكرية لابن خلدون. جامعة الجبل الغربي- 2004
- ملتقى علمي لمناقشة ظاهرة تدني مستوي التعليم لدي طلاب المرحلة الجامعية. نظمته جامعة الزاوية(السابع من إبريل)سابقاً 2005 م.
- مؤتمر دولي عن الفلسفة وآفاق المجتمع – نظمته جامعة قاريونس –بمدينة بنغازي-2006م.

- مؤتمر عالمي عن الأقليات وقضايا العولمة. بجامعة سبها 2007 م في مدينة سبها.
- مؤتمر عالمي عن الإمام مالك. مركز الدراسات والبحوث بالجامعة الأسمرية.2013
- مؤتمر دولي عن التعليم الديني في ليبيا. الجامعة الأسمرية.2014.
- مؤتمر تحديات الوسطية. جامعة صبرانة. 2019م.

* بصفة محاضر دعي لإلقاء محاضرات علمية وفكرية داخل وخارج ليبيا منها ما كان بحثية وعلمية في دول منها: المملكة المغربية، وتونس، والجزائر، وتركيا، وموريتانيا، تحت رعاية بعض المؤسسات البحثية، والأكاديمية.

د.خالد إبراهيم علي المحجوبي. 05525588834 - تركيا-
00218926116786 –ليبيا-+ wats
البريد الإلكتروني sskk1922001@gmail.com

مسرد مؤلفات

د. خالد إبراهيم المحجوبي

أولاً: المطبوع:

1- الاستشراق والإسلام (م)

2- الرسم القرآني بين التوقيف والاصطلاح(م)

3- الشخصية لفكرية للنيهوم (م)

4- العملية التأثرية بين الشرق والغرب(م)

5- الفكر الديني عند النيهوم (م)

6- منهجية الكتابة الفقهية:تحقيق الكلام فيما للسهو من أحكام(م)

7- ثالوث التصوف الإسلامي(م)

8- صلح الحديبية وأثره في العلاقات الدولية للدولة الإسلامية(م)

9- الفجر المنير ...(تحقيق وتعليق) م

10- الأصولية والإفراط التديني .(م)

10- الفرائد والحكم .م طبعة إلكترونية

11- منظومة المحجوبي ، في علم الحديث

ثانياً: الجاهز للطباعة:

9- الثلاثي المتوتر: الدين، والدولة، والسياسة.

10- الطريقة العروسية وأثرها في المجتمع الليبي.

11- العربية :.شؤون، وشجون.

12-جدلية الدين مع الفلسفة والسلطة.

13- تفسير القرآن بين التجميد والتجديد

14- على أرض التصوف

15- الفكر الديني بين تحديات التجديد ، وتأثير الحداثة

16- في نقد الاستشراق

17- مثاقفات فكرية .

18- التصوف والصوفية في ليبيا.

20- الإعلام بين الخطاب الديني، والتنمية.

ثانياً: تحت الإنجاز

23-إسلام بلا طوائف

24-المحقق الظاهر في أحكام الدفن والمقابر

25- إحكام الفتل في أحكام القتل.

28-سور القرآن: أسماؤها وصفاتها.

29- المعتصر من الفقه المختصر.

30- الحبل المتين من عقائد المسلمين.

ثالثاً: في طور التخطيط :

- معارك بلا دماء:من سجل الخصومات الأدبية والفكرية
- تشريح الآيديولوجيا
- العقل بلا عقل.
- الفقه الموطأ.
- الفروق بين نسختي الموطأ: رواية يحيى بن يحيى، ورواية الشيباني.
- معجم المحجوبي.
- شرح منظومة المحجوبي في علم الحديث.
- تحقيق كتاب: مصطلح الحديث.للشيخ عبد الغني محمود.
- تفسير الفرقان.
- عقيدة ابن حزم الظاهري.